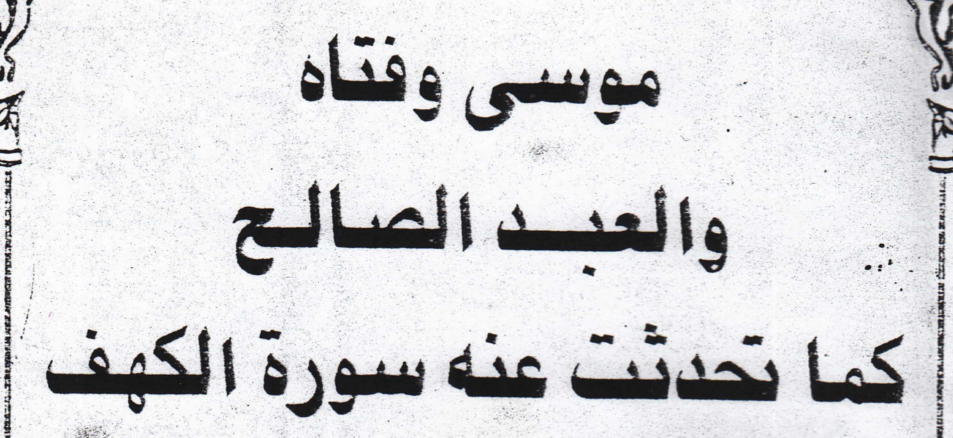


موسى وفتاه والعبد الصالح كما تحدثت عنه سورة الكهف

إعداد

أ.د/ أبو ضيف مجاهد حسن

عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بسوهاج

١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م

موسى وفتاه والعبد الصالح

كما تحدثت عنه سورة الكهف

حكى القرآن لنا هذه القصة من قصص موسى عليه السلام، وقد انفردت بها سورة الكهف وهى قصة تمثل فصلاً فى حياة موسى عليه السلام وموقفا مميزا عن غيره من المواقف التى سبقته. فقد كانت مواقف موسى السابقة تتمثل بين الإيمان والكفر. والإيمان والتعنت وسوء الأدب. والإيمان والجدل والبطر وكفران النعم. أما هذا الموقف فقد كان بين الشريعة المتمثلة فى موسى رسول الله وكليمه وصاحب التوراة. وبين الحقيقة المتمثلة فى العبد الصالح وما أوتيه من العلم اللدنى. وكلا العلمين آت من عند الله وسنتحدث فى هذا الفصل عن أسباب هذه الرحلة لموسى وعن موقفه من صنيع العبد الصالح والغرض من ذلك. وعن حياة العبد الصالح وموته ونبوته والتعرف على شخصيته إلى غير ذلك مما تضمنته هذه القصة من عبر ودروس.

تحدثت سورة الكهف عن هذا الموقف وقالت: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَباً قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً﴾ [آيات ٦٠: ٦٤ من سورة الكهف]. ونحن نسير مع القصة آية وجملة جملة حتى نتعرف أسرارها وبادئ ذى بدء نقول:

أولاً: من هو موسى المذكور فى الآية؟ ومن هو فتاه؟

قال جمهور العلماء وأهل التاريخ المصنفون .. أنه موسى بن عمران المذكور فى القرآن. وليس فيه موسى غيره وهو من سبط لاوى بن يعقوب نبى الله ورسوله وكليمه المرسل إلى بنى إسرائيل بالتوراة وصاحب المعجزات. ومنهم من يقول إنه موسى بن منشا ابن افرائيم بن يوسف بن يعقوب قيل كان نبيا قبل موسى بن عمران. وقد رد هذا القول ابن عباس فى صحيح البخارى وغيره فالأرجح أنه موسى بن عمران، وقال القفال مؤيدا ذلك أن الله تعالى حين يذكر موسى فى أى موضع من كتابه فإنما يريد به موسى بن عمران وهو المشهور المعروف. فلو أراد شخصا سواه لبينه بالوصف فيما ذكر الله موسى فى كتابه وإلا أراد به صاحب التوراة. فلو أراد غيره لعرفه بصفة تميزه عن غيره وتزيل الشبهة كما أنه لما كان المشهور فى العرف من أبى حنيفة أنه هو الرجل المعين صاحب المذهب فلو ذكرنا هذا الاسم وأردنا رجلا غيره لقيدناه كأن نقول أبو حنيفة الدينورى. يقول الرازى وحجة الذين قالوا من أهل الكتاب ومن تبعهم من المحدثين والمؤرخين أن هذا ليس هو موسى بن عمران صاحب التوراة حجتهم: أنه تعالى بعد أن أنزل التوراة عليه وكلمه بلا واسطة وحج خصمه بالمعجزات القاهرة العظيمة التى لم يتفق مثلها لأكثر أكابر الأنبياء بعد أن يبعثه بعد ذلك لتعلم الاستفادة من غيره. وأجيب بأنه لا يبعد أن العالم الكامل فى أكثر العلوم يجهل بعض الأشياء فيحتاج فى تعلمها إلى من دونه وهذا أمر متعارف معلوم أ.هـ بتصرف(١).

---

(١) الرازى، جـ٥، ص٥١٢.

كما أنه أجيب بالتزام التعلم من نبى ولا غضاه فى تعلم نبى من نبى وكون نفوسهم لا تسمح بتعلم نبيهم عليه السلام ممن ليس مثله فى الفضل -أمر لا يساعده العقل- وليس هو إلا الحمية الجاهلة- إذ لا يبعد عقلا تعلم الأفضل الأعلم شيئا ليس عنده ممن هو دونه فى الفضل والعلم. فقد يوجب فى المفضول مالا يوجد فى الفاضل وقال بعضهم لا مانع من أن يكون الله قد أخفى على موسى المسائل التى تضمنتها القصة عن موسى عليه السلام على مزيد علمه وفضله لحكمه - ولا يقدح ذلك فى كونه أفضل وأعلم من الخضر عليه السلام أ.هـ بتصرف واختصار (١).

وما يفيد صحة ذلك قول رسولنا لأصحابه أنتم أخبر بأمور دنياكم. وقد أفادت السنة أيضاً أنه موسى بن عمران عليه السلام فقد أخرج الشيخان والترمذى والنسائى وجماعة من طريق سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس إن نوفا البكالى -هو بن فضالة ابن امرأة كعب وهو من أصحاب على كرم الله وجهه- يزعم أن موسى صاحب الخضر عليه السلام ليس هو موسى صاحب بنى إسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله حدثنى أبى بن كعب رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إن موسى قام خطيبا فى بنى إسرائيل فسئل أى الناس أعلم؟ فقال أنا..الخ ما ذكر الحديث الذى سنذكره قريبا. لذلك نقول كما قال جمهور العلماء أن موسى هو موسى بن عمران كليم الله.

---

(١) الألوسى، جـ١٥، ص٣١٠: ٣١١.

أما فتاه: فقد اختلفوا فيه أيضاً فمنهم من يقول أنه يوشع بن نـــون ومنهم من يقول أنه أخو يوشع بن نون كان يتبعه ويخدمه ويــأخذ منــه العلم ولذا أضيف إليه. والعرب تسمى الخادم. فتى لن الخدم أكـثر مـا يكونون فى سن الفتوة وقيل كان ابن أخت موسـى (وبـهذا قـال ابـن العربى)[1]. وقيل كان عبده والإضافة للملك.وأطلق على العبد فتا كما فى الحديث الصحيح (ليقل أحدكم فتاى وفتاتى ولا يقل عبدى وأمتى) وهـو من آداب الشريعة. وحكم النووى بأنه قول باطل وفى حل تملك النفـس فى بنى إسرائيل كلام. الألوسى بتصرف)[2]. وفى الرازى "قـال قـال الأكثرون إنه يوضع بن نون. وروى القفال عن سفيان بن عينيه عـن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبى هريرة عـن أبى ابن كعب عن النبى ﷺ يقول "فتاه يوشع بن نون. هـ"[3].

وهل كان فتاه تلميذا له أو عبدا تابعا؟ ليس فى القرآن دليل علـى أنه يوشع أو أخوه أو عبد موسى -غير أنه اللغة التى تحتمل أن يقـال عن التلميذ فتى وعن العبد فتى. والأخير أقرب احتمالا كقولـه تعـالى ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾. وهـم المماليك وهـى الآية٦٢ من سورة يوسف وكقوله تعالى أيضا ﴿تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ﴾. الآية٣٠ من يوسف. وكقوله تعالى ﴿وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغَـاءِ﴾

---

(١) فتح البارى، جـ٨، ص٢٨٨.

(٢) الألوسى، جـ١٥، ص٣١١.

(٣) الرازى، جـ٥ ، ص٥١٢.

الآية ٣٣ من سورة النور، وكقوله ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ من الآية ٢٥ من سورة النساء. وأرجح أن الفتى هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام وهو قول الجمهور وهو أذى تولى أمر بنى إسرائيل بعد موسى ويبدو أن اختيار موسى له لكونه أصلح بنى إسرائيل بعد هارون فكان ذلك بمثابة تدريب له حتى يتمكن من قيادة قومه حين يكلف بذلك وإنما أضيف الفتى لموسى لأنه كان ملازماً له يخدمه ويأخذ عنه العلم. ويقول ابن كثير هو يوشع بن نون.

ثانيا: سبب القصة:

يقول ابن كثير سبب قول موسى لفتاه هذا الكلام إنه ذكر له أن عبد من عباد الله بمجمع البحرين عنده من العلم مالم يحط به موسى فأحب الذهاب إليه وقال لفتاه لا أبرح-..الخ (وأخرج بن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والخطيب وابن عساكر من طريق هارون عن أبيه عن ابن عباس قال: سأل موسى عليه السلام قال: أى رب أى عبادك أحب إليك؟ قال الذى يذكرنى ولا ينسانى. قال فأى عبادك أقضى؟ قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى. قال فأى عبادك أعلم؟ قال الذى يبتغى علم الناس إلى علمه قال يا رب فهل فى الأرض أحد أعلم منى؟ قال نعم قال فأين هو؟ قيل له عند الصخرة التى عندها العين – فخرج موسى يطلبه حتى كان ما ذكر الله تعالى. أهـ[1].

---

(١) الألوسى، جـ١٥، ص٣١٣.

وفى فتح البارى وعن عبد بن حميد من طريق هارون بن عنتره عن ابن عباس أن موسى قال أى رب أى عبادك أعلم قال الذى يبتغى علم الناس إلى علمه قال من هو؟ وأين هو؟ قال الخضر تلقاه عند الصخرة. وذكر له صفته. هـ وكان موسى قد حدث نفسه بشىء من فضل علمه - أو ذكره على منبره[١] وفى إحدى روايات البخارى قوله قال ابن عباس حدثنى أبى ابن كعب قال قال رسول الله ﷺ موسى رسول الله ذكر الناس يوما حتى إذا فاضت العيون ورقت القلوب ولى فأدركه رجل فقال أى رسول الله هل فى الأرض أحد أعلم منك؟ قال لا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إلى الله قيل بلى قال أى رب وأين؟ قال بمجمع البحرين قال أى رب اجعل لى علما أعلم ذلك به قال لى عمرو قال حيث يفارقك الحوت..الخ ما ذكرت الرواية (ابن كثير)[٢]. وهذا وتفيد الروايات التى ذكرها البخارى وغيره فى مضمونها أن موسى عليه السلام حدثته نفسه أنه أعلم الناس فى عصره أو قال ذلك صرلحة معتقدا ذلك لما له من منزلة عند الله باعتباره كليم الله وصاحب التوراة والمعجزات التى لم تكن لغيره فأخبره الله بما حدثتنا به هذه القصة من سورة الكهف فعزم موسى على الله سبحانه بذلك. وكان ذلك لونا من ألوان العتاب لموسى كما صرحت بذلك الروايات. وقيل سئل موسى من أعلم الناس؟ فقال أنا فأوحى الله إليه أن أعلم منك عبد لى عند مجمع البحرين هـ.

---

(١) فتح البارى، جـ٨، ص٢٨٨.

(٢) نفس المرجع السابق والصفحة.

وحول هذه القصة حدثنا البخارى بما يلى: (جاء فى ابن كثير قوله قال البخارى حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار أخبرنى مسعود بن جبير قال قلت لابن عباس: أن نوفا البكالى يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بنى إسرائيل قال ابن عباس كذب عدو الله حدثنا أبى بن كعب رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول أن موسى قام خطيبا فى بنى إسرائيل فسئل أى الناس أعلم؟ فقال أنا فعتب الله عليه إذا لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه أن لى عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى يا رب كيف لى به قال تأخذ معك حوتا فتجعله فى مكتمل فحينما فقدت الحوت فهو تم؟ وفى رواية ابن إسحاق عند مسلم فقيل له تزود حوتا مالحا فإنه حيث تفقد الحوت[1]. فأخذ حوتا فجعله فى مكتمل ثم انطلق وانطلق معه يوشع بن نون عليه السلام حتى إذا أتيا إلى الصخرة وضعا رؤوسهما فناما. واضطرب الحوت فى المكتمل فخرج منه فقط فى البحر فأتخذ سبيله فى البحر سارا. وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسى صاحبه أن يخربه بالحوت فانطلق بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غذائنا لقد لقين من سفرنا هذا نصبا قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا. قال فكان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا فقال ذلك ما كنا نبغ فأرتدا على آثارهما قصصا.

---

(١) تفسير ابن كثير ص١٧٣، ط الشعب م ٥.

قال فرجع يقصان أثرهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى
بثوب فسلم عليه موسى فقال الخضر وأنا بأرضك السلام. قال أنا موسى
قال موسى بنى إسرائيل؟ قال نعم أتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا قال أنك
لن تستطيع معى صبرا -يا موسى أنى على علم من علم الله علمنيه لا
تعلمه أنت- وأنت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه- فقال موسى
ستجدنى إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا. قال له الخضر - فإن
اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكر فانطلقا يمشيان
على ساحل البحر فمرت سفينة فكلمهم أن يحملوه - وفى الصحيح
فكلموهم أن يحملوهم - فعرفوا الخضر فحملوهم - وفى الصحيح
فحملوه- بغير نول فلما ركبا فى السفينة لم يفاجأ إلا والخضر قد قلع
لوحا من ألواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قد حملونا بغير نول
فعمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا امرا قال ألم أقل
إنك لن تستطيع معى صبرا قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من
أمرى عسراً. قال وقال رسول الله ﷺ فكانت الأولى من موسى نسيانا.
قال وجاء عصفور فنزل على حرف السفينة. وفى صحيح البخارى فوقع
على حرف السفينة. فنقر فى البحر نقرة وقال له الخضر ما علمى
وعلمك فى علم الله. إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر. ثم
خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر
غلاما يلعب مع الغلمان وأخذ الخضر رأسه فأقتلعه بيده فقتله وقال له
موسى - أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا منكرا قال ألم أقل لك

إنك لن تستطيع معى صبرا. قال وهذه أشد من الأولى - قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا فأنطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض- قال "مائل" فقال الخضر - بيده. وفى صحيح البخارى فقام الخضر فأقامه بيده. فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه أجرا؟ قال هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا. فقال رسول الله ﷺ وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما. أ.هـ.

وقال البخارى أيضا حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال أخبرنى يعلى بن مسلم وعمرو بن دينار عن سعيد بن جبير يزيد أحدهما على صاحبه وغيرهما قد سمعت يحدث عن سعيد ال أنا لعند ابن عباس فى بيته إذ قال سلونى- فقلت أى أبا عباس جعلنى الله فداك بالكوفة رجل قاص يقال له نوف يزعم أنه ليس لموسى بنى إسرائيل أما عمرو فقال لى قال قد كذب عدو الله وأم بعلى فقال لى قال ابن عبسا حدثنى أبى بن كعب قال قال رسول الله ﷺ موسى رسول الله ذكر الناس يوما حتى إذا فاضت العيون ورقت القلوب ولى فأدركه رجل فقال أى رسول الله هل فى الأرض أحد أعلم منك قال لا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إلى الله قيل بلى قال أى رب فأين؟ قال بمجمع البحرين قال أى رب اجعل لى علما -بفتح العين واللام- أى علامة أعلم ذلك منه فقال لى عمرو قال حيث يفارقك الحوت. وقال لى

بعلى خذ حوتا ميتا حيث ينفخ فيه الروح فأخذ حوتا فجعله فى مكتل فقال لفتاه لا أكلفك إلا أن تخبرنى بحيث يفارقك الحوت قال ما كلفت كثيرا فذلك قوله جل ذكره –وإذا قال موسى لفتاه. أى يوشع بن نون– ليست عن سعيد يقول ابن حجر القائل ليست عن سعيد هو ابن جريح ومراده أن تسمية الفتى ليست عنده.

قال ضمنا هو فى ظل صخرة فى مكان ثريان إذ تضرب وفى رواية سفيان واضطراب الحوت حتى دخل فى البحر فأمسك الله عنه جرية الماء حتى كان أثره فى حجر قال لى عمرو وهكذا كان أثره فى حجر وحلق بين إبهاميه والتى تليانهما قال لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا. قال قد قطع الله عنك النصب – ليست هذه عند سعيد بن جبر أخبر فرجعا فوجد خضرا وفى صحيح البخارى أخره فرجعا فوجدا خضرا قال قال عثمان بن أبى سليمان على طنفسه بكسر الطاء وسكون النون وضم الفاء –وضم الطاء والفاء– خضرا على كبد البحر قال سعيد بن جبير مسجى بثوب قد جعل طرفه تحت رجليه وطرفه تحت رأسه فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه وقال هل بأرض من سلام؟ من أنت؟ قال أنا موسى – قال موسى بنى إسرائيل؟ قال نعم قال فما شأنك؟ قال جئتك لتعلمنى مما علمت رشدا – قال أما يكفيك أن التوراة بيدك وأن الوحى يأتيك يا موسى أن لى علما لا ينبغى لك أن تعلمه وأن لك علما لا ينبغى لى أن أعلمه. فأخذ طائر بمنقاره من البحر فقال والله ما علمنى وعلمك فى جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر. حتى إذا

ركب فى السفينة وجدا معابر صغارا تحمل أهل هذا الساحل إلى هذا الساحل الآخر - عرفوه فقالوا عبد الله الصالح قال فقلنا لسعيد خضر؟ قال نعم لا تحمله بأجر فخرقها ووتد فيها وتدا..الخ الرواية أ.هـ ابن كثير [١].

وقد أفادت روايات البخارى أيضا أن موسى المذكور فى القصة هو موسى بن عمران بنى إسرائيل وأن الفتى هو يوشع بن نون عليه السلام. وأن سبب القصة أنه عليه السلام لم يرد العلم إلى الله ظانا أو معتقدا أنه أعلم الناس فأراه الله أن هناك من عباده من هو أعلم منه فتشوقت نفس موسى الرسول الكليم ليرى ذلك الرجل ويتعلم منه فرحل إليه. كما أفادت أيضاً أن العبد الصالح هو الخضر إذ نصت على هذا التعبير سواء كان اسما أو لقبا وسيأتى تحقيق أمر نبوته.

تفسير الآيات: قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ قوله لا أبرح - أى لا أزال أسير. وحذف الخبر اعتمادا على قرينة الحال إذ كان ذلك عند التوجه إلى السفر واتكالا على ما يعقبه من قوله "حتى أبلغ" إذ الغاية لابد لها من مغيا. والذى تناسبها هنا السير. وحذف الخبر فيها قليل. فالمعنى لا أزال أسير إلى أن أبلغ. وذلك بناء على أن لا أبرح من برح الناقص - كمزال يزول.هـ الألوسى بتصرف [٢].

---

(١) تفسير ابن كثير ص١٨٢ وما بعدها ط الشعب مجلد ٥ - وفتح البارى جـ٨، ص٢٨٥ وما بعدها.

(٢) الألوسى جـ١٥، ص٣١٢.

(وفى ابن كثير أى لا أزال سائرا حتى أبلغ هذا المكان الذى فيه مجمع البحرين. أ.هـ) (وجوز أن يكون أبرح من برح التام فزال يزول وعندئذ فلا يحتاج إلى خير ويكون المعنى لا أبرح بمعنى لا أزول عن السير والذهاب بمعنى لا أترك هذا العمل وهذا الفعل. والمشهور عند الجمهور أن قوله لا أبرح معناه لا أزول والعرب تقول لا أبرح ولا أزال ولا أنفك ولا أفتاء بمعنى واحد. هـ الرازى بتصرف[1]) وقيل معناه – لا أفارق حتى أبلغ مجمع البحرين. وبرح: زال. وبرح المكان فارقه وزال عنه كما هو فى معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ص٦٤.

فمجمع البحرية – هو المكان الذى وعد فيه موسى بلقاء الخضر عليهما السلام وليس فى اللفظ ما يدل على تعيين هذين البحرين والمجمع المتلقى اسم مكان والبحران هما بحرا فارس والروم كما روى عن مجاهد وقتاده وغيرهما وملتقاهما مما يلى المشرق ولعل المراد، مكان يقْرب فيه التقاؤهما وإلا فهما لا يلتقيان إلا فى البحر المحيط وهما شعبتان منه. هـ الألوسى بتصرف وسيأتى تحقيق ذلك ومجمع البحرين أى قرب ملتقاهما وهما على ما يظهر البحر الأحمر والبحر الأبيض.

أما قوله أو أمضى حقبا– فلو لاحد الشيئين ومعناها حتى يقع أما بلوغى الدجتمع أو أمضى حقبا – أى سيرى زمانا طويلا وجمعه أحقاب– قال ابن جرير ذكر بعض أهل العلم فى كلام العرب أن الحقب

---

(١) الرازى جـ٥، ص١٢.

فى لغة قيس - سنة وعن عبد الله بن عمر أنه قال الحقب ثمانون سنة وقال مجاهد سبعون خريفا وعن ابن عباس دهرا. وفى القاموس: الحقبة بالكسر من الدهر مدة لا وقت لها وعن سعيد بن جبير الحقب: الحين. والخلاصة أن الحقب الدهر والزمان الطويل والأصح أنه لا تحديد فيه والتعبير يشير بذلك بدون تحديد فكأنه يقول لا أزال أسير مهما طال بى الزمن فى السير حتى أبلغ مكان اللقاء. قوله ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً﴾ "يقول الألوسى - الفاء فى قوله فلما بلغا للفصيحة أى فذهبا يمشيان إلى مجمع البحرين فلما بلغا مجمع بينهما - أى البحرين والأصل فى بين النصب على الظرفية. وأخرج عن ذلك بجره بالإضافة اتساعا والإضافة بيانية والمراد مجمعهما. وجوز أن يكون بمعنى -الافتراق- أى مجضع اجتماع افتراق البحرين - أى البحرين المفترقين. ومجمع اسم مكان والمعنى فانطلقا يمشيان إلى أن بلغا مجمع بينهما. والراجح أن الضمير فى بينهما يعود إلى مجمع البحرين وهو كأنه إشارة إلى قول موسى لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين هـ بتصرف[1]. وبذلك يقول الشوكانى أيضا فى فتح القدير.

"نسيا حوتهما" أى وهناك نسيا حوتهما الذى جعل فقدانه إمارة على وجدان العبد الصالح وذلك أنه كان قد أمر بحمل حوت مملح معه وقيل له متى فقدت الحوت فهو ثمه. فسارا حتى بلغا مجمع البحرين. وهناك عين يقال لها عين الحياة فناما هنالك فأصاب الحوت من رشاش ذلك

---

(١) الألوسى ، جـ١٥ ص٣١٤.

الماء فأضطرب فكان فى مكتل مع يوشع وطفوا من الكتل إلى البحر فاستيقظ يوشع عليه السلام وسقط الحوت فى البحر وجعل يسير فيه والماء له مثل الطاق لا يلتئم بعده ولهذا قال "فأتخذ سبيله فى البحر سربا" أى مثل السرب فى الأرض قال ابن جريج قال ابن عباس صار أثره كأنه حجر. وقال محمد بن إسحاق عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن أبى بن كعب قال قال رسول الله ﷺ حين ذكر ذلك - ما أنجاب ماء منذ كان الناس غيره ثبت مكان الحوت الذى فيه - فأنجاب كالكوة حتى رجع إليه موسى فرأى مسلكه فقال -ذلك ما كنا نبغي- وقال قتاد تسرب منابر حتى أفضى إلى البحر ثم سلك فجعل لا يسلك فيها طريقا إلا جعل ماء جامدا. هـ بتصرف ابن كثير(١).

هذا وقد أنكر الداوودى فيما حكا ابن التبن ما جاء فى بعض الروايات وكان عند الصخرة عين ماء يقال لها عين الحياة لا يصيب من ذلك الماء ميتا إلا عاش فقطرت من ذلك الماء على الحوت قطرة فعاش وخرج من المكتب فسقط فى البحر. أنكر الداوودى هذه الزيادة وقال لا أدرى هذا. وقال ذلك مذكور عن وهب وغيره من الإسرائيليات(٢).

ونحن نرجح عدم وجود هذه العين بهذه الصفة لأنها لو كانت موجودة لتواترت الأخبار بها ولأنها لم يوجد لها أثر على الطبيعة. والمسألة راجعة إلى قدرة الله التى لا يعجزها شىء وجمهور المفسرين

---

(١) تفسير ابن كثير ص١٧١ ط الشعب م ٥.

(٢) فتح البارى جـ٨، ص٢٨٩.

لم يتعرض لعين الحياة هذه. وفى الألولسى قوله فقد صح أن الله تعالى حين قال لموسى عليه السلام أن لى بمجمع البحرين من هو أعلم قال موسى يا رب فكيف لى به؟ قال تأخذ معك حوتا فتجعله فى مكتب فحيثما فقدت -الحوت فهو ثم- فأخذ حوتا وجعله فى مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه حتى إذا أتيا الصخرة وكانت عند مجمع البحرين وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت فى المكتل فخرج منه فسقط فى البحر. والظاهر نسبة النسيان إليهما جميعا وإليه ذهب الجمهور -هـ والكلام على تقدير مضاف أى نسبا حال حوتهما إلا أن الحال الذى نسيه كل منهما مختلف. فالحال الذى نسبه موسى عليه السلام كونه باقيا فى المكتل أو مفقودا. والحال الذى نسيه يوشع عليه السلام ما رأى فى حياته ووقوعه فى البحر وهذا القول مبنى على أن يوشع شاهد حياته وفيه خبر صحيح. فقد روى الشيخان وغيرهما أن الله تعالى قال لموسى "خذ حوتا ميتا فهو حيث ينفخ فيه الروح فأخذ ذلك فجعله فى مكتل فقال لفتاه لا أكلفك إلا أن تخبرنى بحيث يفارقك الحوت قال - ما كلفت كثيرا فبينما هما فى ظل صخرة إذ اضطرب الحوت حيث دخل البحر وموسى نائم فقال فتاه لا أوقظه حتى إذا استيقظ نسى أن يخبره هـ.

وروى مسلم وغيره أن الله تعالى قال له آية ذلك أن تزود حوتا مالحا فهو حيث تفقده ففعل حتى إذا انتهيا إلى الصخرة انطق موسى يطب ووضع فتاه الحوت على الصخرة فأضطرب ودخل البحر فقال فتاه إذا جاء نبى الله تعالى حدثه فأنساه الشيطان وزعم بعض أن الناس هو

الفتى لاغير - نسى أن يخبر موسى عليه السلام بأمر الحـــوت ووجـــه نسبة النسيان إليهما بأن الشيء قد ينسب إلى الجماعة وإن كان الذى فعله واحد منهم. هــ الألوسى بتصرف[١].

وذلك لقوة التلازم بينهما. ولعل المعنى أنهما نسيا تفقد أمره. أو أن الذى نسى هو فتى موسى لأنه وكل أمر الحوت إليه وأمره أن يخبره إذا فقده فكان منه ما كان. وفى البخارى نسيا حوتهما -نسب النسيان إليـهما تغلبا - والناسى هو الفتى - أو أن الفتى نسى أن يخبر موســـى بقصـة الحوت ونسى موسى أن يستخبره عن شأن الحوت بعد أن استيقظ - لأنه حينئذ لم يكن معه. وكان بصدد أن يسأله أين هو فنسى ذلك وإن كـــان صريح الآية يدل على صحة صريح الخبر. وأن الفتى أطلع علـــى مـا جرى للحوت ونسى أن يخبر موسى بذلك. ووقع عند مسلم فى رواية أبى إسحاق أن موسى تقدم فتاه لما استيقظ فسار وقال فتاه - آلا ألحق نبى الله فأخبره قال فنسى أن يخبره. أ هــ[٢]. وسيأتى مزيد إيضاح لهذه الفقرة.

وقوله تعالى ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً﴾ أى مسلكا كالســـرب وهو النفق فقد صح من حديث الشيخين والترمزى والنسائى وغـيرهم أن الله تعالى أمسك عن الحوت جربة الماء فصار عليـــه مثـل الطـــاق - والمراد به البناء المقوس. كالقنطرة. هــ. فسربا له عدة معان - القنـــاة التى يدخل منها الماء. والطريق التى يتتابع الناس فيه. وعلى أية حـــال

---

(١) الألوسى، جــ١٥، ص٣١٤.

(٢) فتح البارى، جــ٨، ص٢٨٩.

فالآية تفيد نسيان الحوت وأن الحوت اتخذ سبيله وطريقه فى البحر - طفر طفرا- أوزحف من البر حتى وصل إلى البحر. ولعلهما كان يجلسان قريبا من الماء وقد جاء فى الطبرى قوله جاء فرأى أثر جناحيه فى الطين حين وقع فى الماء. هـ والأقرب إلى الصواب أن الحوت اتخذ سبيله أى طريقه فى البحر. وفى تفيد الظرفية وهى هنا على معناها. ومنطوق الآية تفيد ذلك. وسواء قلنا أن الماء صار كالكوة لا يلتئم -أو كالطاق- أو ما مس شيئا إلا يبس قد يكون ذلك ولا غرابة فيه فمعجزات موسى عليه السلام كلها محسوسة ومن ثم كان العجب.

فقوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَباً قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ عَجَباً﴾.

والمعنى فلما جاوزا -أى المكان الذى نسيا فيه الحوت وهو مجمع البحرين. وهو المكان الذى وعد موسى أن يلتقيا بالخضر فيه. وسارا بعيدا منه مرحلة أو بقية يومهما وليلتهما. حتى إذا كانا من الغد وارتفع النهار أجس موسى عليه السلام بالجوع عند ذلك قال لفتاه آتنا غداءنا. وهو الطعام -والمراد به الحوت- وقيل سارا ليلتهما إلى الغد فقال ذلك. هـ بتصرف الألوسى[1]. وظاهر الآية أن موسى وفتاه جاوزا المكان الذى عند الصخرة وذهبا بعيدا عنه وسارا مسافة جهدتهم وشعروا بعدها

---

(١) الألوسى، جـ١٥، ص٣١٦.

بالجوع والتعب. وهذا يحتمل أنهما بدأ السير من أول النهار حتى كان وقت الغذاء فطلب موسى الطعام كما هو المألوف عادة. كما أنه يحتمل أن يكون سارا بقية يومهما وليلتهما حتى كان اليوم التالى فشعرا بالجوع والتعب فطلب الطعام كما أنه يحتمل أن يكونا قد استأنفا سيرهما ليلا بعد مكثهما عند الصخرة وسارا حتى كان الغد فطلب موسى الطعام وقد أطلق عليه السلام لفظ السفر على هذه المسافة. وفى هذا دلالة على أنهما سارا مسافة أو مرحلة أتعبتهم يفيد ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَباً﴾ والسفر المراد هو ما كان بعد مجاورتهما المكان المذكور ولقد لحق موسى من جراء هذا السفر. التعب والإعياء. وقد صح أن رسول الله ﷺ قال: لم يجد موسى شيئاً من النصب حتى جاوز المكان الذى أمر به. وفى رواية سفيان السابقة التى ذكرتها آنفا لم يجد موسى النصب حتى جاوزا المكان الذى أمر الله به. هـ وكان أبو الفضل الجوهرى يقول فى وعظه: مشى موسى إلى المناجاة فبقى أربعين يوما لم يحتج إلى طعام ولما مشى إلى بشر لحقه الجوع فى بعض يوم. هـ ولعل الحكمة من ذلك ليتذكر الحوت فيطلبه فلا يجده وعندئذ تبدو شارة الظفر. "يقول الألوسى وجمله - لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا فى محل التقليل للأمر بإيتاء الغذاء .. أما باعتبار أن النصب إنما يعترى بسبب الضعف الناشئ عن الجوع وأما باعتبار ما فى أثناء التغذى من استراحة ما. هـ قال الفتى لموسى عليه السلام "أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة" أى التجأنا إليها - والاستفهام معناه تعجبه لموسى مما وقع له من النسيان

هناك مع كون ذلك الأمر مما لا ينسى لأنه قد شاهد أمـرا عظيمـا دالا على قدرة الله الباهرة. وقد دهش الفتى من نفسه على نسيانه وهذا الأمر الذى لا ينسى فى العادة وكأنه يقول ما الذى دهانى إلى هذا الحـد قـال الألوسى قال شيخ الإسلام .. وذكر الإيواء إلى الصخرة مع أن المذكـور فيما سبق بلوغ مجمع البحرين - لزيادة تعيين محل الحادثة إليه ولتمـهيد العذر فإن الإيواء إليها والنوم عندها مما يؤدى إلـــى النسـيان عــادة. والرؤية مستعارة بالمعرفة التامة والمشاهدة الكاملة. هـ

فالصخرة عند مجمع البحرين الذى هو موعد اللقاء. وأوقع النسيان على الحوت دون الغذاء الذى طلبه موسى لبيان أن ذلك الغذاء المطلوب هو ذلك الحوت الذى جعلاه زادا لهما وأمارة لوجود مطلوبـهما. يقـول الألوسى أيضاً وإيقاع النسيان على اسم الحوت دون ضمير الغذاء مع أنه المأمور بإيتائه - قيل للتنبيه من أول الأمر على أنه ليس من قبيل نسيان زاده فى المنزل وأن ما شاهده ليس من قبيل الأحوال المتعلقة بالغذاء من حيث هو غذاء وطعام بل من حيث هو حوت كسائر الحيتان مع زيـادة. وقيل للتصريح بما فى فقده إدخال السرور على موسى عليه السلام مـع حصول الجواب لما تقدم من أنه قال له لا أكلفك إلا أن تخبرنى بحيـث يا فرقك الحوت هـ. فالظاهر أن النسيان على حقيقته فهو ليس متعلقـاً بذات الحوت بل بذكره. هـ[1].

---

(١) الألوسى جـ١٥، ص٢١٧.

ثم ذكر ما يجرى مجرى السبب فى وقوع ذلك النسيان فقال ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ أى بما يقع منه من الوسوسة فى الأهل ومفارقة الوطن فكان ذلك سبب نسيانى بتلك الحالة التى لا تنسى.وفى الرازى قال القاضى والمراد بالنسيان أن يشتغل قلب الإنسان بوساوسه اتى هى من فعله دون النسيان الذى يضاد الذكر لأن ذلك لا يصح أن يكون إلا من قبل الله تعالى. هـ - وقد يكون النسيان تأنيبا للفتى لقوله حين كلفه موسى بإخباره - فقد الحوت - ما كلفت كثيرا. حيث استسهل الأمر ولم يقل إن شاء الله ولم يظهر الالتجاء إلى الله، وفيه أيضا عتاب لموسى عليه السلام حيث اعتمد عليه فى العلم بذهاب الحوت فلم يحصل عليه حتى نصب ولم تضر هذه الوسوسة بمقام يوشع. فقد نسى آدم من قبل بل ونسى رسول الله ﷺ أن يقول إن شاء الله فقال له مولاه ولا تقولن لشىء أنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله وأذكر ربك إذا نسيت - ونسى عليه الصلاة والسلام فى الصلاة (وفى الألوسى قوله وقال الإمام أن موسى عليه السلام لما استعظم علم نفسه أزال الله عن قلب صاحبه هذا العلم الضرورى تنبيهاً لموسى عليه السلام وعلى أن اعلم لا يحصل إلا بتعاليم الله تعالى وحفظه على القلب والخاطر أ هـ[1].

وقوله تعالى: ﴿أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ بدل اشتمال من الهواء فى قوله - أنسانية- وفى مصحف عبد اله وما أنسانيه أن أذكره إلا الشيطان. وفى تعليق الفعل إنسانية بضمير الحوت أولا وبذكره له ثانيا على طريقة

---

(١) الألوسى جـ١٥، ص٣١٧.

الإبدال المنبئ عن تنحيه المبدل منه إشارة إلى أن متعلق النسيان ليس نفس الحوت بل ذكر أمره. لأن الحوت بالنسبة لموسى كالساعة فى تحديد وقت اللقاء بالخضر.

وقوله ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً﴾ يحتمل أن يكون من كلام يوشع أخبر به موسى وموضع التعجب - أن يحيا حوت قد مات. بل قيل وأكل منه. ثم يثب إلى البحر ويبقى أثر جريته فى الماء لا يمحو أثرها جريان ماء البحر. ويحتمل أن يكون من كلام الله بيان طرف آخر من أمر الحوت فيكون ما بين الكلامين اعتراضا. ومما يؤكد أنه من كلام يوشع قراءة أبى حيوه "واتخاذا" بالنصب على أنه معطوف على المنصوب فى أذكره ففى رواية أبى سفيان قال فكان للحوت سربا ولموسى عجبا ولابن أبى حاتم من طريق قتادة قال عجب موسى أن تسرب حوت مملح فى مكتمل. (وفى الرازى قوله قيل أنه تم الكلام عند قوله واتخذ سبيله فى البحر -ثم قال بعده - عجبا - والمقصود منه تعجبه من تلك العجيبة التى رآها ومن نسيانه لها وقيل أن قوله عجبا حكاية أتعجب موسى وهو ليس بقوله. أ هـ)[١].

يعد هذا الاعتذار من فتى موسى -لموسى- والذى بدأ من خلاله السرور وإمارات الظفر بالمطلوب قال موسى عليه السلام قوله تعالى ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ أى الذى ذكرت من فقد الحوت هو ما نبغيه وفى

---

(١) الرازى جـ٥، ص٥١٤.

ذلك اموضع فإن الرجل الذى نريده هنا. ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً﴾ أى رجعا فى نفس الطريق التى جاءا منها يقصان أثرهما لئلا يخطئا طريقهما فجعلا يقصانه قصا أى يتبعانها اتباعا. فهو من قص أثره إذا اتبعه حتى أتيا الصخرة التى فقد الحوت عندها. وقد أنسى موسى اشتياقه لرؤية العبد الصالح مرارة الجوع. وقد يكون أحدث الله فيه الشبع على حد الحديث أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى وهيمن عليه الجانب الروحى هـ.

ثالثاً- أمور تفهم من الآيات:

(١) ذكرت هذه الحلقة من قصص موسى عليه السلام فى سورة الكهف دون غيرها من سور القرآن ولم يحدد مكانها إلا بأنه مجمع البحرين وعند الصخرة ولم يحدد ذلك تاريخ وكأنها حلقة قائمة بذاتها. وهى كذلك كما أن القرآن لم يذكر شيئا عن العبد الصالح الذى لقبه موسى إلا بقوله -عبدا من عبادنا- فلم يتعرض لاسمه ولا لصفته كأن يكون نبيا. أو ملكا. أو رسولا. أو وليا. ولكن ذلك كله لا يمنع من البحث فى السنة ورحابها عن كشف ما يمكن من ذلك. وإن كان معلوماً أن القرآن لا يعنى بالأسماء والأمكنة. إذ المقصود العبرة قد يكون عدم التحديد لحكمه. ووجه ذكر هذه القصة فى هذه السورة من وجهين:

الوجه الأول: أن اليهود لما سألوا النبى ﷺ عن قصة أصحاب الكهف قالوا أن أخبركم فهو نبى وإلا فلا. ذكر الله قصة موسى والخضر تنبيهاً

على أن النبى لا يلزمه أن يكون عالما بجميع القصص والأخبار والوقائع كما أن كون موسى عليه السلام نبيا صادقا من عند الله لم يمنع من أمر الله إياه ليذهب إلى الخضر ويتعلم منه. **والوجه الثانى:** يكمن فى الرد على الكفار الذين افتخروا على فقهاء المسلمين بكثرة الأموال والأنصار فها هو موسى عليه السلام مع كثرة علمه وعمله وعلو منصبه واستجماع كل موجبات الشرف ذهب إلى الخضر متواضعا له لتعلم منه وذلك دليل على أن التواضع خير من التكبر وقد أفاد ذلك أنها قصة مستقلة بنفسها نافعة فى الوقت نفسه فى تقرير المقصود فى القصتين المتقدمتين. أ هـ - الرازى بتصرف واختصار)[1].

وخلاصة القول أن ذكر هذه القصة فى هذه السورة فائدتان إحداهما فى شأن المشركين من أهل مكة ما كان معروفاً أنهم يكرهون إيمان بهذا الرسول خشية أن يتساووا مع ضعفائهم وعبيدهم. وذلك شأن المستكبرين فى كل أمة مع الرسل بل مع سائر الدعاة لإصلاح فما قامت دعوة للخير إلا على أكتاف البسطاء والفقراء من الناس لذلك فالحديث عن التواضع والرضا بأخذ العلم من أى أفق يسترق منه نوره أى يقتبس ويستلطف يكون له موضعه وتأثيره فى هذا المقام. أما فائدة ذلك فى شأن اليهود فإنهم كانوا يصورون رسول الله محمداً أمام العرب بأنه مدع للرسالة علماً بأنهم لا يعرفونه أهل العلم ويفخرون بما عندهم من أنباء الرسول والسابقين - لذا فإذا قص الله على نبيه قصة من قصص موسى

---

(١) الرازى، جـ٥، ص٥١١.

العجيبة كان لذلك أثره فى كبحهم والجامهم وكان له تبعا لذلك أثر فى نفوس العرب حيث يعلمون أن اليهود أو غيرهم ليسوا وحدهم أهل العلم والمعرفة بما كان. فهاتان فائدتان لإنزال هذه القصة فى تلك السورة حيث الأمر بين المشركين واليهود كما وصف وحيث ضربت السورة بسهم فى علاج ذلك والقصة فى ذاتها مبنية على أمر طبيعى هو أن لكل إنسان ولو كان نبيا مرسلا حدا من المعرفة والعلم. ولذا فليس هناك داع لإثارة أية شبهة حول ما ينقل عن بعض الأنبياء والرسل فى غير ما جاء به الوحى.

(٢) النبوة لا تستلزم العلم بكل شىء - والقصة هذه ترشدنا إلى ذلك. فالنبى والرسول كسائر الناس قد يعلم وقد يجهل وقد يصيب وقد يخطئ فى أمر ما من أمور الدنيا دليل ذلك قول رسولنا ﷺ لأصحابه أنتم أخبر بأمور دنياكم. فقد يوجد من هو أعلم من الرسول أو النبى فى شأن من شئون الحياة ولا يقدح ذلك فى نبوته ولا فى علمه. ومن ثم يجب التفريق بين ما ورد عن النبى أنه وحى من الله وبين ما ورد عنه فى الأمور العادية. فلنفرق بينما به تكون الرسالة. وما يكون من الرسول أو لا يكون - باعتباره بشرا كسائر الناس. وقد نزل رسول الله فى غزوة بدر على رأى الحباب بن المنذر حين قال له وقد اتخذ موقعا غيره أفضل منه للمعركة يا رسول الله أهذا منزل أنزلكه الله. أم هو الحرب والمكر والخديعة؟ قال عليه الصلاة والسلام بل هو الحرب والمكر والخديعة فأشار عليه الحباب بتغيير المكان ونزل رسول الله ﷺ على

رأى الحباب فليست الرسالة تقضى اعلم بكل شيء فإن النبى ما هــو إلا بشر أوحى الله إليه بقسط من اعلم ليعلمه أو ليبلغه وفيما عدا ذلــك كسـائر الناس. وقد يوجد فى الناس من هو أعلم منه فى شأن ما من شئون الحياة ولا يكون ذلك قدحا فى نبوته ولا طعنا فى علمه الذى كان به نبيا أو رسولا.

(٣) ورد فى سبب القصة أن موسى وقف خطيبا فى بنى إسـرائيل فسئل أى الناس أعلم فقال أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد اعلم إليه .. الـخ وهذه رواية الحميدى عن سفيان بن عمرو بن دينار قال أخبرنى سـعيد بن جبير .. الخ وتقول الرواية الثانية حدثنا إبراهيم بن موســى حدثنـا هشام بن يوسف عن ابن جريج أخبرهم قال أخبرنى بعلى بن مسلم ..الخ قال رسول الله قال ذكر الناس يوما حتى إذا فـاضت العيـون ورقـت القلوب ولى فأدركه رجل فقال أى رسول الله هل فى الأرض أحد أعلـم منك قال لا ...الخ.

وبين الروايتين فرق لأن الرواية الأولى رواية سـفيان تقتضـى الجزم بالأعلمية له. والرواية الثانية: رواية الباب تنفى الأعلميـة مـن غيره وعليه. ووقع فى رواية سفيان فأوحى الله إليه أن لى عبدا بمجمـع البحرين هو أعلم منك. وفى قصة الحر بن قيس فأوحى الله إلى موسـى بلى عبدنا خضر. وفى رواية أبى إسحاق عند مسـلم أن فـى الأرض رجلا وهو أعلم منك. وعند عبد بن حميد من طريق هارون بن عنـتره عن أبيه عن ابن عباس أن موسى قال أى رب أىّ عبادك أعلم قال الذى يبتغى علم الناس إلى علمه قال من هو؟ وأين هو؟ قال الخضر تلقاه عند

الصخرة وذكر له حليته وفى هذه القصة وكان موسى يحدث نفسه بشيء من فضل علمه أو ذكره على منبره . أ هـ[١]. وأخرج عبد الله بن أحمد فى زيادات السند والنسائى وكذا ذكره بن أبى حاتم من طريق ابن عباس عن أبى بن كعب قال أن الله أوحى إلى موسى -وذكرهم بأيام الله- قال نعم الله. وأخرجه عبد الرازق من حديث ابن عباس بأسناد صحيح لم يقل عن أبى ابن كعب. أ هـ[٢].

وواضح أن السبب يدور حول العلم. وقد صرحت الروايات باسم الخضر وإن كانت الأيام لم تصرح به. فالقصة تدفعنا بقوة إلى التزود من العلم مهما كان الطلب ومهما كان المعلم وأن يستهين الإنسان بكل المصاعب فى تحصيل العلم.

(٤) بعض ما يفيده اللفظ والأسلوب فى هذه الآيات المتأمل فى آيات القرآن الكريم وتراكيبها يقف على فوائد جمه فوق الغرض المقصود من الآيات. فقد أفاد التعبير بالفتى فى الآيات: أن الفتية هم عادة عماد الإصلاح ورجال الغد ومستقبل الأمة. وهم القوة القادرة على تحمل المشاق. والقادرة على التغيير. فقد حطم الفتى إبراهيم الأصنام وقص القرآن علينا شأن الفتية الذين آمنوا بربهم كذلك ما يشي إليه التعبير من إرشاد كريم نحو الخدم والاتباع من ذلك قوله تعالى ﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾ - وقوله ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء﴾

---

(١) فتح البارى، جـ٨، ص٢٨٧، ٢٨٨.

(٢) فتح البارى، جـ٨، ص٢٦٣.

وقوله ﴿فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات﴾ وقول رسول الله ﷺ (لا يقل أحدكم عبدى وأمتى. وليقل فتاى وفتاتى. وقال عن الخدم إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم. فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم من العمل مالا يطيقون فإن كلفتموهم فأعينوهم. وفى البخارى هم اخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن جعل الله أخاه تحت يديه فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما يغلبه فإن كلفه ما يغلبه فليعنه عليه. هـ[١].

(٥) الرحلة فى طلب العلم: يستفاد من القصة هذا المعنى بها هو موسى يرحل لطلب العلم ويتزود من المعرفة. والآيات الكريمة تتضمن بعض نواحى الأدب المتصلة بالرحلة. والرفقة فيها بموسى صاحب الرحلة وإليه تعود المصلحة وكان منه العزم والتصميم ورسم الخطة وكان من فتاه المطاوعه والقبول والمشاركة فى التنفيذ. وهذا أمر طبيعى فى التابع والمتبوع. ولذا كان التعبير بضمير الفرد الراجع إلى موسى فى قوله لا أبرح حتى أبلغ فلما انتقل الأمر إلى التنفيذ جاء التعبير بضمرهما معاً وذلك قوله فلما بلغا - مجمع بينهما نسيا حوتهما. فلما جاوزا - قال لفتاه آتنا غذائنا لقد لقينا من سفرنا - لأنهما أصبحا رفيقين فى الرحلة. وذلك أدب من آداب السفر فلم يقل موسى لفتاه آتنى غذائى ...الخ لنه اعتبره زميله فى السفر فى النصب والاحتياج إلى الطعام. ولم يقل الفتى لموسى فأنا نسينا الحوت ولكنه قال نسيت تأدباً منه فى إجابته

---

(١) صحيح البخارى جـ٨، ص١٨، ط الشعب.

له وشعوراً بأن المسئولية عليه دون متبوعه. وقال الفتى وما أنسانيه إلا الشيطان إذ أذكره وهو أدب مع الرب الأعظم ولفتة من القرآن بارعة لبيان سبب النسيان والوقوع فى المظاهر الغفلة ولم يمنع موسى منصبه أن يرحل فى طلب العلم وطلب المزيد منه حيثما يجد المزيد. "يقول الشعرانى فى كتابه الأخلاق المتبوليه تحقيق الدكتور منيع عبد الحليم محمود: فإن موسى مع سعة علمه وكونه نبياً ومرسلاً - طلب الإرشاد لطريق الحقيقة من الخضر - وكلا العلمين آت من عند الله سواء الشريعة أو الحقيقة"(١).

(٦) إباحة اتخاذ الخدم: يفهم من الآيات أن موسى عليه السلام كان معه خادم يخدمه. ولما كان الخدم أكثر ما يكونون فتيانا - قيل للخادم فتى على جهة حسن الأدب وذلك مندوب فى الشريعة. والفتى فى كلام العرب: الشاب - والفتى فى الآية هو يوشع بن نون على أرجح الأقوال وسمى فتى موسى لأنه لزمه ليتعلم منه ويخدمه وأن كان حرا. أو سمى فتى لأنه قام مقام الفتى وهو العبد على نحو قوله تعالى ﴿وقال لفتيانه أجعلوا بضاعتهم فى رحالهم﴾ وهم المماليك كما قال الزجاج وكقوله أيضا تراود فتاها عن نفسه قال ابن العربى ظاهر القرآن يقتضى أنه عبده. وفى الحديث أنه كان يوشع بن نون وكان فتى دون البلوغ ولا مانع من إطلاق الفتى على الصبى دون البلوغ أو الشاب كاطلاقه على البالغ نحو قوله تعالى ودخل معه السجن فتيان ولأنك كانا بالغين وإلا ما كانا مكلفين.

---

(١) الأخلاق التبولية جـ١ ص٣٣٣.

وقول الخضر لموسى: أما يكفيك أن التوراة بيديك وأن الوحى يأتيك يا موسى - أن لى علما لا ينبغى لك أن تعلمه وأن لكل علما لا ينبغى لى أن أعلمه أى جميعه يقول صاحب فتح البارى (وتقدير ذلك متعين لأن الخضر كان يعرف من الحكم الظاهر مالا غنى عنه للمكلف.

وموسى كان يعرف من الحكم الباطل ما يأتيه بطريق الوحى. فكون كل منهما أعلم من الآخر ليس على إطلاقه[1].

(٨) موضوع القصة: وردت فى موضوع القصة روايات وأحاديث خلاصتها أن موسى عليه السلام وفتاه لما رحلا كان معهما حوت فى مكتل فلما بلغا مجمع البحرين طفرت السمكة إلى البحر وقد ذكروا فى كيفية طفرها روايات أشرت إليها ومضمونها أن الفتى كان يغسل السمكة لأنها كانت مملحة ميتة فأحياها الله فطفرت وصارت فى البحر. أو أنها تحركت فى نفس المكتل وطفرت إلى البحر. أو أنها وضعا رؤوسهما على الصخرة فناما فلما أصاب الحوت برد الماء ردت إليه الحياة. أو أصاب الحوت ماء عين الحياة فحيى إلى غير ذلك.

يقول الشيخ محمد المدنى فى كتابه القصص الهادف كما تراه فى سورة الكهف. ولاشك أن بعض هذه الروايات صحيح رواه البخارى وغيره. ولكنها أتت بتفاصيل لم يأت بها القرآن وليست متعلقة بأمور عملية تشريعية حتى يجب التعويل عليها والعمل بها. كما هو الشأن فى

---

(١) فتح البارى جـ١ ص٢٩١.

أخبار الأحاد التى يؤخذ بها فى الأحكام. فمن رأى الاكتفاء بما جاء به الكتاب الكريم فليس بضاره ذلك فى عقيدته وإيمانه ولا يقال أنه رد حديثاً صح عن رسول الله. ولكنه توقف فى اعتقاد مضمونه ويقول الشيخ المدنى أن هذه التفاصيل التى جاءت بها تلك الروايات موضع للنظر من وجوه منها إذا كان الفتى يغسل السمكة فتطفر منه فى البحر وهى ميته أفلا يلفت ذلك نظره ويذكره؟ وكيف ينسى مع هذا الحادث. ويقول لموسى بعد ذلك - فإنى نسيت الحوت؟

ويجيب المفسرون على هذا النقد بأن الفتى كان قد أبصر كيراً من معجزات موسى وكلها أغرب من بعض فلم يعد لها فى نفسه وقع ولم يعد يتأثر بها فجاز حصول النسيان. أو أن الله قد أزال عن قلبه العلم الضرورى ليدلهما على أن العلم لا يحصل إلا بتعليم الله. ولكن الشيخ المدنى يقول كل هذا لا يقبل بسهولة. ولا ضرورة له فالأمر غير محتاج إلى ذلك. وقد يقال ظاهر القرآن يفيد أنهما نسيا الحوت فإذا كانت هذه الحادثة حدثت ولم يرياها كما هو ظاهر الكلام فلماذا إذا أحيا الله الحوت ليسلك سبيله فى البحر؟ هـ ونقول فقدان الحوت علامة على وجود الخضر ولقائه وقد رجعا ووجداه ولقياه ورأيا أثر الحوت فى الماء كالكرة كما نص الحديث وذلك كاف فى الإعجاز رأياه وقت الطفو أم لا مع القول بأن الفتى رآه ولكنه نسى أن يخبره كما أن موسى نسى أن يتفقد أمره. ونسب النسيان إليهما معاً لسكوت موسى عنه. ولا غرابة فى نسيان الفتى إخبار موسى بهذا الحادث للأسباب التى لم يسلم بها الشيخ

المدنى. وقد نسى آدم عليه السلام بنص القرآن بقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾ ونسى رسول الله ﷺ فى الصلاة وقد جاء فى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ سلم من ركعتين فى إحدى صلاتى العشى فقال له ذو اليدين أنسيت أم قصرت فقال لم أنس ولم تقصر قال بلى قد نسيت فصلى ركعتين ثم سلم. أ هـ[1].

وقد ينسى الإنسان أحيانا لأمر ما شيئاً مهما جداً. وربما كان مع الحوت طعام آخر فحمل الفتى المكتل وسار به دون أن يتذكر ما حدث من أمر الحوت - هذا على القول بأن الفتى هو الذى نسى أما على القول بأن النسيان كان منهما كما هو ظاهر الآية فلا اشكال ويكون المعنى كما يقول الكشاف (فلما جاوزا الصخرة نسى موسى تفقد أمر الحوت وما كان منه ونسى يوشع أن يذكر لموسى ما رأى من حياته ووقوعه فى البحر) هـ بتصرف.

وأما كونها معجزة ولم يرها أحد كما هو الظاهر ولم يتعظ بها؟ فنقول هناك الكثير من المعجزات لم يكن مقصوداً بها التحدى وهذه المعجزات كانت أماره على لقاء موسى بالعبد الصالح فقط وقد كان. ويمكن القول بأن القرآن قد جاء بذلك فيكفى هذا ويجب التصديق به وإلا كان ذلك تكذيباً للقرآن. يقول الشيخ المدنى ورأيى أن الروايات التى تذكر شأن حياة الحوت وانطلاقه فى البحر بعضها يذكر أن ذلك حدث

---

(١) صحيح البخارى جـ٢ ص٨٦، ط الشعب.

وهما نائمان وفى هذا دليل على أنهما لم يرياه حين حى وأنـــهما نسـيا وسارا فى طريقهما بعد استيقاظهما. وذلك قولنا أى قول الشيخ المدنـى أن المعجزة لم تظهر لأحد. وبعض الروايات يذكر أن الفتى شهد حيـاة الحوت وانطلاقه فى البحر وأنه بعد ذلك نسى ولم يذكر ذلـك لموسـى لتعوده رؤية المعجزات وعلى هذه الرواية يكون انفـلات الحـوت قـد حصل أولاً ثم حصل النسيان بعد ذلك. ولكن القـرآن يقـول .. نسـيا حوتهما فاتخذ سبيله فى البحر. والفاء للترتيب فإذن حدث النسيان أولاً ثم اتخاذ الحوت سبيله فى البحر ثانيا - وهذا يتنافى ما ذكر فى الرواية مع العكس. هـ.

ونقول المعنى أن الله أخبر عن حياة الحوت ثم نسيانه الذى حـدث بعد حياته فأخبر القرآن عن الواقعة كما حدثت ولا مانع أن يكونا نسـيا الحوت فأتخذ الحوت سبيله فى البحر تمشياً مع ظاهر الآية.

ويكون النسيان أولاً وبالاتخاذ ثانيا. ويستطرد الشيخ المدنى قـائلاً بعد هذا ننظر فيما يدل عليه القرآن بغض النظر عن الروايات لمن أراد الاكتفاء بالقرآن الطريق إلى ذلك واضح إذ يقال أن موسى رحل هـو وفتاه حتى إذا بلغا مجمع البحرين أويا إلى الصخرة فمكثا عندها ما شاء الله أن يمكثا وكان معهما حوت لا ندرى هل أحضراه معهما أو اصطاداه فى رحلتهما تلك أو اشترياه من أحد صادفهما فلمـا بارحـا الصخـرة ماضين فى طريقهما نسيا حوتهما. وفى البيضاوى نسى موسى أن يطلبه ويتعرف حاله ونسى يوشع أن يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه فـى

البحر أو أنهما نسيا تفقد أمره وما يكون منه إمارة على الظفر بالمطلوب. هـ

ونحن مع هذا الرأى لأن موسى يعلم أن بغيته لا تتحقق إلا إذا فقد الحوت فواجبه تفقد أمره بين الحين والآخر. ولكن لأمر ما أنساه الله ذلك وأنسى فتاه وكون الفتى نسى النسيان لنفسه فقط عند مخاطبته موسى له فذلك من باب حسن الأدب. ولأن مهمته خدمة موسى بما فى ذلك حمل الحوت. وذكر الله نسيانهما عند بلوغ مجمع البحرين وهو الصخرة لأن موسى كان شريكاً فى النسيان يأوى لون من المشاركة فالرحلة خاصة بموسى وهى رحلته أما الفتى فهو خادم له ولقد كان ما كان من أمر الحوت ورأى الفتى ذلك ونسى أن يخبر موسى إلا بعد أن جاوزا المكان وشعرا بالجوع وسأل موسى فتاه الغذاء، ولحكمة أيضاً أن موسى لم ينصب قبل ذلك ولا شعر بالجوع إلا بعد أن جاوز الموضع الذى حدده الله له. وعندئذ قال لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا. وهل كان الحوت حيا؟ يقول الشيخ المدنى يفهم من قوله فأتخذ سبيله فى البحر سربا أنه كان حيا لم يمت بعد وليس عجيباً أن يشترى الإنسان حوتا وهو فى طريق قريب من البحر ويكون حيا ويصادف أن ينساه فى مكان يجلس فيه للراحة فيضطرب الحوت فيدخل الماء وتكون –فى– بمعنى إلى. ويكون التعبير فى البحر دون قوله –إلى البحر ليدل على سرعة انبعاث الحوت ووصوله إلى البحر حتى كأنه اتخذ سبيله فى البحر لا السرب. أو أنه بمسيرة فى السرب – كأنه سائر فى البحر لاتصال السرب بالبحر

ويكون المعنى أتخذ الحوت الذى لم تكن الحياة قد فارقته بعد. سبيله إلى البحر قناة متصلة به – فلما جاوزا المكان قال لموسى فتاه آتنا غذاؤنا – أى الحوت كى نعده للأكل وهذا قد يكون مألوفاً حينئذ تذكر الفتى الحوت وقال أنى نسيته واعتذر. وحينئذ قال موسى ذلك ما كنا نبغ وعلى ذلك يكون رجوع الضمير فى قوله واتخذ سبيله فى البحر عجبا .. لفتى موسى لأنه هو الذى نسى. وهو المكلف بالحفظ. وقفل الفتى راجعاً وموسى معه لأنه عرف الموعد والعلامة فرجعا معا. ومعنى اتخاذ الفتى سبيله فى البحر -لا- لأنه كان فى البحر فليس البحر اسماً للماء وإنما هو اسم للمجرى الواسع الذى فيه الماء فهما كانا يمشيان على ساحل البحر القريب من مائه ويمكن أن يقال لمن هو قريب من الماء على حافة المجرى -أنه فى البحر- دليل ذلك أنهما ناما قبل ذلك على صخرة والشأن الغالب فى الصخور أنها ملاصقة لساحل الماء وربما كان موسى يتوقع طابته بجوار البحر. هـ

ونقول أن كلام الشيخ المدنى فيه تكلف واضح. ويعد بدون ضرورة. ذلك لأن موسى ما طلب الطعام إلا بعد سفر شعر بعده بالتعب والجوع. وذلك ما يفهم من قوله – آتنا غذائنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا. وإذا سارا كما قلنا مرحلة قد تكون يوماً أو قريباً من ذلك بعد مغادرتهم للصخرة فلو كان الحوت حياً لتعرض للتلف حتى لو قلنا أن الحيتان تمتاز بأن تبقى فترة لا تتعرض للتلف وفوق ذلك فالروايات صريحة فى البخارى ومسلم لكونه حوتا ميتا فرواية الشيخين وغيرهما

أن الله تعالى قال لموسى: خذ نونا ميتا ...الخ، ولو كان الحوت حياً ما كان هناك داع للتعجب - وإنما كان حوتا مملحا أو مشويا معدا للأكل هو زادهما الرئيسى أصابا منه أم لا. ولذا قال ابن كثير فكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا. أى حين رأياه وأن الله تعالى أمسك عن الحوت جرية الماء حتى صار عليه مثل الطاق وكان فقدانه إمارة على وجود الخضر. لذلك نقول أن الحوت كان مملحا أو مشويا وليس حيا وكان معداً للأكل. ومن ثم أوقع النسيان على الحوت دون الغذاء لبيان أن ذلك الغذاء المطلوب هو ذلك الحوت الذى جهلاه زادا لهما وإمارة لوجدان مطلوبهما. كما أنه يفهم من قوله بعد التعجب والنصب -آتنا غذائنا- أى ليأكلا على الفور فقد بلغ بهما الجوع مداه - لا ليعداه فالذى نراه أن الحوت كان ميتا معدا للأكل لأنه لو كان حيا وغاص فى البحر ما كان فى هذا عجب.

ونعتب على الشيخ المدنى كيف يقول بحياة الحوت ثم يعبر عن دخول الحوت البحر بالانبعاث الذى يوحى بأنه كان ميتا (قال قتادة عجب موسى أن تسرب حوت مملح فى مكتل)[١] ونتساءل هل كان موسى يضمن أن يجد صياداً أو أن يصيد حوتا؟ وهل كانت معه أدوات الصيد؟ وحوت على الخصوص كما نطقت الآية والحديث - لا أظن ذلك ثم أن المسافر عادة يعد معه مستلزمات السفر فى المأكل والمشرب لاسيما السفر المجهول كسفر موسى الذى يدل عليه قوله لا أبرح حتى

---

(١) فتح البارى جـ٨ ص٢٩٠.

أبلغ ..الخ – لذا نقول ما يراه الشيخ المدنى من أن الحوت كان حيا بعيد. أن الحوت كان ميتاً ويقوى هذا ويرجحه أن الرحلة كلها مفاجأة غيبيـــة وهذه إحداها فكان الحوت آية من آيات الله لموسى فى إحيائه وفى اتخاذه طريقه فى البحر والماء فوقه مثل الطاق فهما آيتان فى آية واحدة حـوت ميت مأكول منه أو غير مأكول منه يحيا بأى سبب ثم يتخذ طريقه فــى البحر والماء فوقه كالكرة فأى شىء أعجب من هذا؟ أو هو حوت ميـت أحياه الله واتخذ سبيله فى البحر. (وفى تاريخ الطبرى رد الله إلى الحوت روحه فسرب له من البر حتى أفضى إلى البحر)[١].

هذا ولا ضرورة لقول الكثير من المفسرين أن موسى مشى فــى مسلك الحوت وتبعه حتى أفضى به الطريق والى جزيرة فى البحر ففيها وجد الخضر ذلك لأن ظاهر النص القرآنى والروايات تفيد أن موسى وجـد الخضر فى ضفة البحر عند الصخرة مكان نسيان الحوت بقوله إذ أوينا إلى الصخرة – ولقوله فأرتد على آثارهما قصصا فوجدا عبدا من عبادنا.

(يقول الجمل فى تفسيره قال فأتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنـــا هو الخضر وذلك لأنه قيل له متى فقدت الحوت فهو ثم. هـــ) ونـص رواية البخارى فوجدا خضرا على طنفسه خضراء على كبد البحـــر أى على وجه الماء. أما الروايات التى تتحدث عن ما يسمى بعين الحيـاة – ففى النفس منها شىء. والمنطقة لاشك مسحت بل وسكنت وليس فيــها

---

(١) تاريخ الطبرى جـ١ ص٢٦٤.

مكان مجهول. ولم يتحدث أحد فى أرض الواقع عن هذه العين ولذا قلنا أن الحوت حيي بأى سبب من الأسباب بماء المطر أو بماء البحر أو بدونهما حيي وفقط والله أعلم.

(٩) مجمع البحرين: حدد القرآن مكان اللقاء بين موسى والعبد الصالح "بمجمع البحرين" ولكن أين مجمع البحرين؟ قال المفسرون مجمع البحرين هو المكان الذى وعد فيه موسى بلقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى البحرين (وفى الألوسى والمجتمع الملتقى وهو اسم مكان. والبحران بحرا فارس والروم كما روى عن مجاهد قتادة وغيرهما. وملتقاهما مما يلى المشرق. ولعل المراد مكان يقرب فيه التقاؤهما. وإلا فهما لا يلتقيان إلا فى البحر المحيط وهما شعبتان منه. وذكر أبو حيان أن مجمع البحرين على ما يقتضيه كلام ابن عطيه مما يلى بر الشام) أ هـ[1] وقيل هما بحر الملح وبحر عذاب (ويقول الرازى هو ملتقى بحر فارس والروم مما يلى المشرق وقيل غيره ليس فى اللفظ ما يدل على تعيين هذين البحرين فإن صح بالخبر الصحيح شيء فذاك وإلا فالأولى السكوت عنه)[2].

وقيل بحر الأردن وبحر القلزم وقيل غير ذلك يقول صاحب ظلال القرآن. والأرجح والله أعلم أن مجمع البحرين بحر الروم وبحر القلزم أى البحر الأبيض والبحر الأحمر ومجمعهما مكان التقائهما فى منطقة

---

(١) الألوسى جـ١٥، ص٣١٢.

(٢) الرازى جـ٥ ص٥١٣.

البحيرات المرة وبحيرة التمساح. أو أنه مجمع خليجى العقبة والسويس فى البحر ذلك لأن هذه المنطقة هى التى كانت مسرحاً لتاريخ بنى إسرائيل بعد خروجهم من مصر. ويقول سيد قطب وعلى أى فقد تركها القرآن مجملة. أ هـ ولا مانع من رأى الظلال أن البحرين هما البحر الأبيض والبحر الأحمر وربما كان وقتئذ يلتقيان ثم ردما بمرور الزمن ثم كانت فيما بعد قناة السويس ويقوى ذلك ما قيل أن البحرين كانا متصلين أيام الفراعنة. فقد ثبت تاريخياً أن أول من فكر فى وصل البحرين الأحمر والمتوسط هم الفراعنة فقاموا بحفر قناة سيزوستريس وكانت تربط البحرين المذكورين عن طريق أحد فروع النيل لكنها أهملت بعد مدة ثم أعاد الأغريق ثم الرومان حفرها ثانية ولكنها لم تلبث أن أهملت .. وأعاد عمرو بن العاص حفرها ثانية وسماها خليج أمير المؤمنين ثم ردمها الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور عام ٧٧٠ ميلادية من أجل حماية دولته الإسلامية. هـ أو أن المراد من كلمة مجمع ما أشرنا إليه وهو قرب التقائهما. يقول الطبرى والقرطبى مجمع البحرين – بين البحرين ويقول الدكتور مصطفى الحفناوى فى كتابه قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة. (والثابت أن قناة السويس قد شقت بعد دراسات لجميع منطقة العقبة والسويس. وتبين أن الجزء الذى شقت فيه كان فى الأصل بحراً ليصل البحر الأبيض بالبحر الأحمر. ثم حدثت هزة أرضية ردمت هذا الجزء بالرمال فلم تفعل يد الإنسان أكثر من إزالة هذا الحاجز من الرمال . أ هـ)[١].

---

(١) قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة للدكتور مصطفى الحفناوى، الجزء الرابع ص٧٢٧.

ولكن أرجح أن مجمع البحرين هو خليج السويس وخليج العقبة فى البحر الأحمر وذلك لأن حياة موسى وبنى إسرائيل كانت قرب هذه المنطقة ولا عبرة بمن يقول أن مجمع البحرين عند طنجة فى أقصى بلاد المغرب ذلك لأن موسى كان مرتبطاً ببنى إسرائيل ولم يذكر التاريخ أنه أو أنهم ذهبوا إلى هذه الأمكنة وقتئذ ولا ضرورة لمثل هذا القول. وثمة احتمال آخر وهو أنه قد يكون المراد من مجمع البحرين اتصال خليج السويس بقناة كبيرة متفرعة من فرع نهر دمياط وقد ثبت أنه كان هناك قناة تسمى قناة سنسرت قريبة من جبل عتاقة جنوب البحريات المرة فى وادى الطمبلات وذلك فى الدولة الوسطى التى تنتهى سنة ١٧٥٠ قبل الميلاد فقد يكون المراد من المجمع اتصال هذه القناة بخليج السويس وإن كنت أرجح أن المجتمع خليج السويس وخليج العقبة لما ذكرته آنفاً وعلى أية حال المدار على العبر والقرآن لا يهتم بالأسماء فقد قال مجمع البحرين وفقط.

(١٠) تاريخ هذه الواقعة: يقول الألوسى أن هذه الاخبار أى التى جاءت فى القصة دلالة فيه على وقوع القصة فى مصر أو فى غيرها – نعم جاء فى بعض الروايات التصريح بكونها فى مصر قد أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم من طريق العوفى عن ابن عباس قال لما ظهر موسى عليه السلام وقومه على مصر وأنزل قومه بمصر ولما استقرت بهم البلد أنزل الله تعالى أن ذكرهم إذا أنجاهم الله تعالى فخطب قومه فذكر ما أتاهم الله تعالى من الخير والنعم وذكرهم إذ أنجاهم الله تعالى

من آل فرعون وذكرهم هلاك عدوهم وما استخلفهم الله سبحانه في الأرض وقال كلم الله تعالى نبيكم تكليما وأصطفاني بنفسه ونزل على محبة منه وأتاكم من كل شيء ما سألتموه فنبيكم أفضل أهل الأرض وأنتم تقرءون التوراة فلم يترك نعمة أنعمها الله تعالى عليهم إلا عرفهم إياها فقال له رجل من بني إسرائيل فهل على الأرض أعلم منك يا نبي الله؟ قال لا فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام إلى موسى عليه السلام فقال إن الله تعالى يقول وما يدريك أين أضع علمي بلى إن على ساحل البحر رجلاً أعلم منك ثم كان ما قص الله تعالى. وأنكر ذلك ابن عطية فقال ما يرى قط أن موسى عليه السلام أنزل قومه بمصر إلا في هذا الكلام وما أراه يصح. وأن موسى عليه السلام توفى في أرض التية قبل فتح ديار الجبارين. هـ ويقول الألوسي وما ذكره من عدم إنزال موسى عليه السلام قومه بمصر هو الأقرب إلى القبول عندي. أ)[1].

وقد ذكر الطبري في تاريخ الأمم والملوك هذه الرواية[2] وغيره من المفسرين ونحن نرى ما رآه ابن عطيه وأن موسى عليه السلام ما رجع إلى مصر بعد خروجه منها ولا بني إسرائيل في حياته وإنما عايش كل الأحداث في سيناء. أما عن هذه الرواية فقد تكون دخيلة على ابن عباس أو أنها من الإسرائيليات ذلك لأن تتبع الأحداث في سيناء بعد عبورهم البحر يجعلنا نجزم بأنه لا موسى ولا بني إسرائيل عادوا إلى

---

(١) الألوسي جـ١٥، ص٣١٣.

(٢) تاريخ الطبري، جـ١، ص٢٥٩.

مصر فى حياته. كما أنها لم تكن فى مصر قبل عبورهم الحبر لأن موسى كان مشغولاً للغاية بدعوة فرعون للإيمان وخروج بنى إسرائيل من مصر فقد كان فى جهاد مستمر وتحد سافر من فرعون ولم يكن آمن بموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم. ولم تكن تجلت عليهم نعم الله وايامه بعد حتى يذكرهم بها. ولأنزلت التوراة لذلك نقول أنها كانت بعد خروج موسى وبنى إسرائيل من مصر. وفى سنوات التيه لأن فترة ما قبل التيه كان فيه الكثير من الأحداث التى ذكرناها آنفاً ولم تكن كملت لهم كل النعم أما فى التيه فقد كملت لهم كل النعم ومن ثم كان هناك مجال للتذكير به وروح القصة تشير إلى ذلك وقد يقال كيف يترك موسى بنى إسرائيل فى التيه وهو مرتبط بهم؟ ونقول ليس معنى ارتباطه بهم أنه لا يتركهم ألبته – فقد تركهم "أربعين يوماً حين ذهب إلى مناجاة ربه فى الطور لتلقى التوراة وخروجه عنهم فى هذه الرحلة لا مانع فيه. وقد يكون نوعاً من الإعجاز. فإنه لم يتأثر بما تأثروا به فى التيه من حيرة أو ارتحال. وقد قال هناك "رب أنى لا أملك إلا نفسى وأخرى فأفرق بيننا وبين القوم الفاسقين". فنكاد نجزم بأن هذه الرحلة ما كانت فى مصر لا قبل العبور ولا بعد العبور كما أنه لم تكن قبل التيه وإنما كانت فى التيه "يقول الألوسى أن عدم خروج موسى عليه السلام من التيه غير مسلم. وكذلك اقتضاء ذلك الغيبة أياما –لجواز أن يكون على وجه خارق– للعادة كالتيه الذى وقعوا فيه. وكمثل الجبل عليهم وغير ذلك من الخوارق التى وقعت فيهم. وقد يقال يجوز أن يكون عليه

السلام خرج وغاب أياما لكن لم يعلموا أنه عليه السلام ذهب لهذا الأمر. وظنوا أنه ذهب يناجي ويتعبد ولم يوقفهم على حقيقة غيبته بعد أن رجع لعلمه بقصور فهمهم فخاف من حط قدرة عندهم. وهو أعلم بسلوكهم معه وأنهم لم يصلوا إلى فهم هذه الحقائق بعد فهم الذين قالوا - أرنا الله جهره وأجعل لنا إليهاً كما لهم آلهة وقد يكون أوصى فتاه بكتم ذلك عنهم أيضاً. ويجوز أن يكون غاب عليه السلام وعلموا حقيقة غيبته لكن لم يتناقلوها جيلاً بعد جيل لتوهم أن فيها شيئاً يحط من قدره لاعتقادهم أنه لا يجوز أن يتعلم من غيره - فلا زالت نقلتها تقل حتى هلكوا فى وقت يختصر كما هلك أكثر حملة التوراة. كما أن يجوز أن يكون قد بقى منهم عدد قيل حتى بعثه نبيناً ﷺ وتواصلوا على كتمها وإنكارها ليقعوا الشك فى قلوب ضعفاء المسلمين ثم هلك ذلك القليل). وخلاصة القول أنه لا يبالى بإنكارهم بعد أخبار الله تعالى برسوله بوقوعه. فإن الآية ظاهرة فى ذلك. فالراجح أنها فى سيناء وفى التيه.

لقاء موسى بالعبد الصالح كما تحدثت الآيات الكريمة

رجع موسى وفتاه يقصان أثرهما حتى أويا إلى الصخـــرة ليجـدا هناك العبد الصالح الذى أثنى الله عليه هذا الثناء الجميل المنبـــئ عــن تفخيمه وتشريفه وقد من عليه سبحانه بالرحمة. وبجانب عـــن علمــه. وأذهب إليه كليمه. ليتعلم عليه. وقد التقى موسى بالخضر. فقد صح مـن حديث البخارى وغيره أنهما رجعا إلى الصخرة - وإذا رجـل مسجى بثوب قد جعل طرفه تحت رجليه. وطرفه الآخر تحـت رأسـه وفـى صحيح مسلم فأتيا جزيرة فوجدا الخضر قائماً يصلـــى علـى طنفســه خضراء على كبد البحر "وصح أنهما لما انتهيا إليه سلم موســـى فقــال الخضر وأنى بأرضك السلام. فقال: أنا موسى فقـــال .. موســى بنــى إسرائيل؟ قال نعم. وروى أنه لما سلم عليه وهو مسجى عرفه أنه موسى فرفع رأسه فأستوى جالساً وقال وعليك السلام يا نبى بنى إسرائيل فقـال موسى وما أدراك بى ومن أخبرك أنى نبى بنى إسرائيل؟ فقـــال الـذى أدراك بى ودلك علىَّ ثم قال يا موسى أما يكفيك أن التوراة بيـــدك وأن الوحى يأتيك؟ قال موسى إن ربى أرسلنى إليك لاتبعك وأتعلم من علمـك هــ.الألوسى)[1].

حول هذا اللقاء وما دار فيه من حوار حدثنا القرآن الكريم قـــائلاً فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من دلنا علما قـــال

---

(١) الألوسى جـــ١٥، ص٣٢٠.

له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا - قـال أنـك لـن تستطيع معى صبرا وكيف تصر على ما لم تحط به خبرا. قال ستجدنا إنشاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا - قال فأن - اتبعتنى فلا تسألنى عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا" آيات ٦٥ : ٧٠ الكهف.

ونقول من هو العبد؟ وما المراد من الرحمة، وما المراد من علمه؟ جاء فى الألوسى قوله والجمهور على أنه الخضر بفتح الخاء وقد تكسر وكسر الضاض وقد تسكن. وقيل الخضر لقبه ولقب بـه. كما أخرج البخارى وغيره عن رسول الله ﷺ لأنه جلس على فروة بيضاء -وهى وجه الأرض- فإذا هى تهتز من خلفه خضراء. وقد دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة وخالف فى ذلك من لا يعتد بقوله. وقيل سمى الخضر لأنه كان إذا صلى أخضر ما حوله وبذلك قال مجاهد أخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة أن ذلك لأنه كان إذا جلس فى مكان أخضر ما حوله وكانت ثيابه خضراء. وعن السدى أنه إذا أقام بمكان نبت العشب تحت رجليه حتى يغطى قدميه. وقيل لإشراقه وحسنه.

وقد اختلفوا فى أسمه وأسم أبيه - ذكر المفسرون روايات عدة أضربت عنها ويقول الألوسى ولم يصح عندى شيء من هذه الأقوال بيد أن صنيع النووى عليه الرحمة فى شرح مسلم يشعر باختيار- أنه بليا بن ملكا وهو الذى عليه الجمهور. هـ بتصرف واختصار)[١].

---

(١) الألوسى جـ١٥، ص٣١٩، ٣٢٠.

وخلاصة القول أن القرآن لم يسم هذا العبد ولكن جاء في الأحاديث الصحيحة أن أسمه الخضر. أو خضر. أو الخضر لقبه واسمه بليا بن ملكا. وقالوا كنيته أبو العباس. وقوله تعالى "عبدا" بالتنوين – للتفخيم. والإضافة فى "عبادنا" للتشريف والاختصاص أى عبدا نخصه بالتشريف والتكريم لا ككل العبيد. ومن ثم إضافة الله إليه. وقوله: "آتيناه رحمة من عندنا" الرحمة: هى الأنعام والأفضال وقد وسعت كل شيء من خلقه ولو تخلت رحمة الله عن شيء من خلقه طرفة عين لهلك. ولله رحمة عامة هى هذه. ورحمة خاصة يختص بها من يشاء من عباده – كاختصاص البعض بالعلم أو بالرأى أو غير ذلك من أنواع المعرفة التى يختص الله بها بعض عباده ودليل الرحمة العامة قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ وقوله ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ وقوله ﴿الرحمن الرحيم﴾. ودليل الرحمة الخاصة قوله تعالى ﴿يختص برحمته من يشاء﴾. والتى آتاها الله العبد الصالح هى: الرحمة الخاصة. فكانت له مزية وله بها فضل. وهى النبوة على الأرجح. يقول الألوسى وغيره المراد من الرحمة – الرزق الحلال والعيش الرغد. وقيل العزلة عن الناس وعدم الاحتياج إليهم. والجمهور على أنها الوحى والنبوة. هـ).

وإنى مع الجمهور فى أن المراد من الرحمة النبوة وهى فى قمة النعم بل لا تعلوها نعمة وهى منحة من الله دون كسب من العبد لأن النبوة لا تأتى عن طريق الكسب ويؤيد ذلك قوله تعالى ﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ – أى النبوة خير من المال وقوله عز وجل فى

صالح عليه السلام ﴿وأتانى منه رحمة﴾ [٦٤ هود]، أى نبوة وقوله فى نوح عليه السلام ﴿وأتانى رحمة من عنده﴾ [آية ٢٩ من هود]، أى نبوة وقوله تعالى ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [آية ١٠٧ الأنبياء]. وقوله ﷺ أنا الرحمة المهداه. وقد تأتى الرحمة لعدة معان - لكنها هنا النبوة على الأرجح.

"وعلمناه من لدنا علما" أى آتيناه ومنحناه ووهبناه هذا العلم تفضلاً منه وهو سبحانه لا يسأل عما يفعل. وقوله من لدنا ظرف مكان. ولكن المراد من هذا التعبير القرآنى الكريم - وهو صدور الرحمة والعلم عن الله. والعلم هو علم الغيب الذى استأثر الله به وقد علمه بعضه فهو عام لا يقدر قدره وقوله ﴿من لدنا علما﴾ تفخيم لشأن ذلك العلم وتعظيم له لأن العلم من أخص صفاته تعالى الذاتية وقد قالوا أن القدرة لا تتعلق بشىء مالم تتعلق الإرادة به وهى لا تتعلق ما لم يتعلق به العلم. فالشىء يعلم أولا فيراد فتتعلق به القدرة فيوجد. ويستفاد من تقديم قوله "من لدنا" على قوله "علما"، اختصاص ذلك بالله تعالى كأنه قيل علما يختص بنا ولا يعلم إلا بتوفيقنا وفى اختيار -قوله علمناه على قوله آتيناه للإشارة إلى تعظيم أمر هذا العلم. وهذا التعليم يحتمل أن يكون بواسطة الوحى المسموع بلسان الملك وهو القسم الأول من أقسام الوحى الظاهرى كما وقع لنبينا محمد ﷺ فى أخباره عن الغيب الذى أوحاه الله إليه فى القرآن الكريم وأن يكون بواسطة الوحى الحاصل بإشارة الملك من غير بيان بالكلام وهى القسم الثانى من ذلك. ويسمى بالنفث كما فى حديث: أن

روح القدس نفث في روعى أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فأتقوا الله تعالى وأجملوا فى الطلب والإلهام على ما يشير إليه بعض عبارات القوم من هذا النوع ويثبتون له ملكا يسمونه ملك الإلهام ويكون للأنبياء عليهم السلام ولغيرهم بالإجماع . أ هـ)[1] الألوسى بتصرف.

هذا وكان العبد الصالح مكلفاً بتكاليف غير ما ألفه الناس وقام بها حق القيام والغرض إفادة أن العلم الذى علمه الله للعبد الصالح هو علم له خصوصية وتمكن وهو يختلف عن ما ألفه الناس من علوم وهو علم صادر عنه سبحانه مباشرة لقوله تعالى من لدنا - وقد علم الله عبده بعض ما أستأثر به سبحانه من علم بواسطة أو بغير واسطة. يقول الزجاج - فيما فعل موسى وهو من جملة الأنبياء من طلب العلم - والرحلة فى ذلك ما يدل على أنه لا ينبغى لأحد أن يترك طلب العلم وإن كان قد بلغ نهايته وأن يتواضع لمن هو أعلم منه. هـ وقد أراد سبحانه من خلال هذه الآيات أن يعلمنا ويرشدنا - لأن هناك أسرار له فى خلقه. فرب أشعث أغبر ذى طمرين - لو أقسم على الله لابره. وأن ما يبدو مكروهاً فى الظاهر قد يكون خيراً. ويحتفظ الله بسر ذلك لحكمه ليتصرف الناس بفطرتهم ويعتمدوا على الخالق سبحانه وليربطوا الأسباب بالمسببات وصدق قوله ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ [الآية ٢١٦ البقرة].

---

(١) الألوسى جـ١٥، ص٣٢٩، ٣٣٠.

ويؤخذ من هذا الموقف أدب المعلم مع العلم وتواضعه للعلم. فقد أفادتنا الآية الكريمة وما بعدها أن موسى عليه السلام لقى العبد الصالح وهو يبدو خاضعاً تابعاً طالباً لعلمه حريصاً على الانتفاع به والتلقى منه ومركز المتعلم يقضى عليه بذلك فإن المعلم قوام على المتعلم ولابد أن يشعر منه بالاحترام والتعظيم. لأن العلم روح وليس أمراً محسوساً. فلابد أن تكون روح المتعلم مستعدة لتلقيه حريصة عليه. فها نحن قد رأينا موسى النبى والرسول يعتبر نفسه طالباً وتلميذاً للعبد الصالح. وهو الذى كان منذ قليل يظن أنه أعلم الناس وها هو يقول للخضر ما حكاه القرآن لنا ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾ (يقول الألوسى استئناف مبنى على سؤال نشأ من السياق كأنه قيل فما جرى بينهما؟ فقيل قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن. استئذان منه عليه السلام فى أتباعه له بشرط التعليم. وفهم ذلك من قوله "علي" فقد قال الأوليون أن على قد تستعمل فى معنى يفهم منه كون ما بعدها شرطاً لما قبلها كقوله تعالى يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا - أى بشرط عدم الاشراك وكونها للشرط بمنزلة الحقيقة عند الفقهاء لأنها فى أصل الوضع للإلزام والجزاء لازم - للشرط والمعنى هل أتبعك باذلا تعليمك إياه. أ هـ الألوسى بتصرف واختصار[1].

وقوله ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾ أى علما ذا رشد وهو إصابة الخير. وفى الآية استعطاف -لا متناه- وهذا سبيل الطالب الناجح الذى يريد أن

---

(١) الألوسى جـ١٥، ص٣٣١.

يصل إلى أقصى درجات العلم. فكان عليه السلام فى سؤاله للخضر مؤدباً للغاية لطيفاً إلى أبعد حد لأنه أستأذن أن يكون تابعاً له مجرد تابع على أن يعلمه مما علمه الله من العلم الرشيد وقد الغى موسى شخصيته تماماً فى قوله هل أتبعك – لأنه لم يقل أنى أريد وأتبعه بكلمة – أتبعك. ولم يقل أصحابك. فكلمة هل. وكلمة أتبعك فى غاية الدقة فى موقف التلميذ من الأستاذ. وقد لمح الخضر صاحب البصيرة النيرة – والفراسة المؤمنة فى موسى وعدم استعداد رغم عرضه بهذا الأسلوب. لتلقى علمه. لما فيه من عجائب ومن ثم لم يترفق به. بل قال له أنك لن تستطيع معى صبراً. جاء التعبير بأبلغ وجه حيث جىء بأن المفيدة للتأكيد. وبلن التى نفيها أكد من نفى غيرها. وعدل عن قوله لن تصبر – وقال لن تستطيع– المفيد لنفى الصبر بطريق البرهان– لأن الاستطاعة مما يتوقف عليه الفعل فيلزم من نفيه – نفيه ونكر صبرا. في سياق النفي وذلك يفيد العموم كأنه يقول له لا تصبر معي أصلاً شيئا من الصبر فجاء تنبيه الخضر لموسى على أبلغ وجه وكأنه يحذره مقدماً بأن ما سيحدث في الرحلة يصعب الصبر عليه أو السكوت وعلل ذلك بقوله وكيف تصبر على ما لم تُحِط به خبرا – إشارة إلى أنه سيفعل أموراً يخفى مرادها على موسى لأن ظواهرها منكرة لا سيما وهو صاحب شريعة وكأن الخضر على علم بحدة موسى. والبشر دائماً بحكم تركيبهم يجنحون إلى البحث والجدل والأنبياء لا يقرون منكراً ولا يجوز لهم ذلك. ورغم هذا التحذير والتأكيد عزم موسى عليه السلام على مصاحبة

الخضر والتعلم عليه وعدم عصيانه وقال {قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْراً} استثنى موسى والاستثناء ينافي العزم ويمكن أن يفرق بينهما بأن الصبر ليس مكتسباً بخلاف فعل المعصية وتركها فإن ذلك كله مكتسب. قال القشيري أن موسى وعد من نفسه بشيئين بالصبر. وقرنه بالمشيئة فصبر فيما كان من الخضر عليه السلام من الفعل. وبأن لا يعصيه وأطلق ولم يقرنه بالمشيئة فعصاه حيث قال – فلا تسألني – فكأن يسأله فما قرنه بالاستثناء لم يخلف فيه. وما أطلقه وقع فيه الخلف . والمراد بالصبر – الثبات والإقرار على الفعل وعدم الاعتراض وإن كان هذا يبعد من حال موسى لما أشار إليه الخضر من أمور منكرة مخالفة لقضية الشريعة. وقد أفادت الآية على أن المتعلم تابع للعالم وإن تفاوتت المراتب. وليس في ذلك دليل على أن الخضر أفضل من موسى كما سنوضحه فيما بعد إنشاء الله.

وقد اشترط العبد الصالح على موسى عليه السلام قبل بدء الرحلة أن يلتزم بشرط صحبته وهو أن لا يسأله موسى عن شيء عليه السلام يفعله إلا إذا بدء الخضر بتعليمه إياه وإخباره به. وقبل موسى عليه السلام الشرط والتزم به مؤكداً ذلك بقوله ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْراً﴾ وقد عبر العبد الصالح عن شرطه بقوله: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً﴾ هكذا بالصيغة الدالة على استمرار النفي لما أطلعه الله عليه من أن موسى لم يصبر على ترك الإنكار لما يخالف شرعه لأن ذلك شأن عصمته ومن

ثم لم يسأله موسى عن شيء من أمور الدين بل مشى معه ليتعلم منه ما أطلع به على منزلته في العلم الذي اختص به متواضعاً بدون حدود حريصاً كل الحرص على طلب العلم على يد العالم والانتفاع به والتلقي منه. مستعيناً بالله مقدماً مشيئته لكن كيف يصبر موسى على ما يرى من مخالفة ظاهر الشريعة مخالفة صريحة. وله العذر كل العذر ولكن الله عز وجل أراد أن يعلم موسى أن علم الله ليس قاصراً على شخص أو أشخاص أو نبي أو أنبياء فعلم الله منه الظاهر كعلم الشريعة وموسى أعلم الناس به وقتئذ. ومنه الباطن كعلم الخضر وكلاهما من عند الله ولم يقل الخضر إن شاء الله كما قال موسى لأنه في مقام التعليم والمشاهدة بخلاف موسى وعلى أية حال عقد موسى العزم على أن يتعلم ما لم يكن خبيراً به آملاً أن يلهمه الله الصبر. وطبيعي أن يكون المعلم غير خبير بما عند المعلم. ولذا اعترض موسى على أمور لا تحتمل الشك من حيث الظاهر. إنها مخالفة للشريعة وكان اعتراضه لله وطلبه العلم كذلك. وهكذا كان السلف الصلح كانوا يرون أن يتعلموا ولو كانوا شيباً. والمعلم صبياً آخذين بالحديث (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) وموسى عليه السلام رغم مكانته طلب العلم وتواضع من أجله. هذا فقد أذن الخضر لموسى بالاتباع . والفاء في قوله – فان اتبعتني- للتفريغ بالنسبة لما مر من وعد موسى عليه السلام بالصبر والطاعة في صحبته للخضر الذي قال له {فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ } أي ألبته مما نشاهده من أفعالي. التي ستنكرها حتماً فضلاً عن المناقشة والاعتراض {حَتَّى أُحْدِثَ

مِنهُ ذِكراً} أي حتى أبين أنا لك من تلقاء نفسي تفسير تصرفاتي المبنية عن حكمه. كأنه قال له إن كان ولابد من الإنكار. فأنكر بقلبك واترك السؤال حتى أوضح لك الحكمة والغاية الحميدة من كل تصرف.

ولكن موسى لم يستطع صبراً كما سنعلم.

مكانة موسى والخضر علمياً:

كان كل من موسى والخضر عالماً غير أن علم موسى علم الأحكام الشرعية والقضاء بظاهرها وهذا هو الشأن بالنسبة له. فهو رسول وصاحب شريعة. وكان علم الخضر علم بواطن الأمور وهذا هو العلم اللدني الذي لا يؤخذ من إنسان إنما يؤخذ ممن عنده مفاتيح الغيب فعلم الخضر ليس علماً بشرياً واضح الأسباب قريب النتائج وإنما هو جانب من العلم اللدني أطلعه الله عليه بالقدر الذي أراده لحكمة وهو العلم الذي تحصل به المفاضلة بين الكمال. وقد قيل أن الصديق فضل به على غيره من الصحابة ومن ثم كان لابد مما لابد منه وهو عدم صبر موسى على تصرفات الخضر لأنها تصطدم بالأحكام الظاهرة وموسى خير خبير بها ولا يستطيع السكوت على هذه التصرفات العجيبة إلا إذا عرف ما ورائها من الحكمة المغيبة وإلا بقيت عجيبة تثير الإنكار الذي يخشاه العبد الصالح على موسى. ومن ثم كان شرطه عليه. وقبل موسى عليه السلام الشرط ولكننا نقول هل كان موسى على علم بالحقيقة والخضر على علم بالشريعة؟ ويقول الألوسي أن الذي أميل إليه أن لموسى عليه

السلام علماً بعلم الشريعة المسمى بالعلم الباطن والعلم اللدني إلا أن الخضر أعلم به منه. وللخضر عليه السلام سواء كان نبياً أو رسولاً علماً بعلم الشريعة المسمى بالعلم الظاهر إلا أن موسى عليه السلام أعلم به منه فكل منهما أعلم من صاحبه من وجه.

فليس الخضر أعلم من موسى من كل الوجوه بل في بعضها ومما يدل على أن لموسى عليه السلام علماً ليس عند الخضر عليه السلام يدل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من حديث ابن عباس مرفوعاً أن الخضر عليه السلام قال يا موسى إني على علم من علم الله تعالى علمنيه لا تعلمه أنت . وأنت على علم من علم الله تعالى علمكه الله سبحانه لا أعلمه. والمراد أن ما يعلمه الخضر ولا يعلمه موسى هو بعض علم الشريعة فكل من موسى والخضر عليهما السلام علم بالشريعة والحقيقة إلا أن موسى عليه السلام أزيد بعلم الشريعة والخضر عليه السلام أزيد بعلم الحقيقة فعلم كل ببعض ما عند صاحبه لا يضر بمقامه فقد كان الخضر يعرف من الحكم الظاهر ما لا غنى عنه للمكلف. وموسى كان يعرف من الحكم الباطن ما يأتيه بطريق الوحي. وقول الجلال السيوطي ما جمعت الحقيقة والشريعة إلا لنبينا محمد ﷺ أي أنها ما جمعت على الوجه الأكمل إلا له صلى الله عليه وسلم لأنه مأمور بتبليغ الحقيقة كما هو مأمور بتبليغ الشريعة ولكن لنوعية خاصة من الناس مستعدة لذلك. هـ بتصرف واختصار)[1] .

---

(١) تفسير الألوسي ، ج ١٥ ص ٣٣٢.

والذي أراه أن الخضر كان على جانب من علم الشريعة أهله ليكون عبداً من عباد الرحمن لقوله تعالى {عَبْدَاً مِنْ عِبَادِنَا} إذ أثنى الله سبحانه على عباده المتمسكين بشريعته لقوله تعالى {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ} ..إلخ . وقد منحه الله قدراً من علم الكشف وبواطن الأمور التي فضل به موسى عليهما السلام.

أحداث الرحلة .. وتفسيرها

أولاً:

بعد أن التزم موسى عليه السلام تجاه الخضر بالصبر وعدم عصيان أمره وعدم الاعتراض عليه. وقيد نفسه بذلك العهد. سار على بركة الله وانطلقا يمشيان على ساحل البحر. فمرت به سفينة فكلموهم أن يحملونهم. فحملوهم إلى حيث يذهبون. وكانت سفينة جديدة كما قيل وحملوهما بغير نول وأكرهوهما. وبينما هما في السفينة وفي وسط اللّجة عمد الخضر عليه السلام فقلع لوحاً من ألواحها مما يلي الماء. وقيل خرق جدار السفينة لعيبها ولا يتسارع الغرق إلى أهلها. وعلى الفور اعترض موسى عليه السلام. حول أحداث هذه الرحلة ويحدثنا القرآن الكريم قائلاً: ﴿فانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً *قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْراً * قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَ لاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً * فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً * قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً * قَالَ إِن سَأَلْتُكَ

عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْراً * فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً * قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً﴾ [الآيات ٧٨/٧١].

الحدث الأول:

حول هذا الحدث قوله تعالى ﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ أي – فانطلق موسى والخضر عليهما السلام وبينما هما يسيران على الساحل. إذ مرت بهم سفينة فركبوها. فعمد الخضر وهم في وسط البحر بخرقها ليحدث بها عيباً فقط دون تعريضها للغرق. "يقول الألوسي أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس مرفوعاً أنهما انطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهما سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول. وفي رواية أبي حاتم عن الربيع بن أنس أن أهل السفينة ظنوا أنهم لصوص لأن المكان كان مخوفاً فأبوا أن يحملوهم فقال كبيرهم إني أرى رجالاً على وجوههم النور لأحملنهم فحملهم . هـ وقوله تعالى {﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ﴾ أل في السفينة للجنس إذ لم يتقدم عهد في سفينة مخصوصة. وقيل أنها سفينة جديدة وثيقة لم يمر بهما أحسن منها ولا أجمل ولا أوثق وعليه فهي للكمال وكانت على ما يدل عليه بعض الروايات الصحيحة من سفن صغار يحمل بها أهل هذا الساحل إلى أهل الساحل الآخر (وفي رواية أبي حاتم

أنها كانت ذاهبة إلى أيلة. وصح أنهما حين ركبا جاء عصفور حتى وقع على حرف السفينة ثم نقر في البحر وقال له الخضر - ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر هـ. وهو جار مجرى التمثيل وقد صح أيضاً أنهما لما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواحها بالقدوم وقال له موسى عليه السلام: قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها. وصح أنه عليه السلام خرقها ووتد فيها وتداً. وفي رواية عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس مرفوعاً أنهما لما ركبا واطمأن فيها وولجت بهم مع أهلها أخرج منقاراً له ومطرقة ثم عمد إلى ناحية منها فضرب فيها بالمنقار حتى خرقها ثم أخذ لوحاً فطبقه عليها ثم جلس عليها يرقعها. هـ الألوسي[1].

وفي رواية أبي العالية فخرق السفينة فلم يره أحد إلا موسى ولو رآه القوم لحالوا بينه وبين ذلك.هـ فتح الباري"[2]. كما أنه جاء في هذا المقام في رواية قتيبة بن سعيد قال الخضر لموسى: ما علمك وعلمي وعلم الخلائق في علم الله إلا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره"[3].

ونقول - نقول الآية الكريمة ﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ فهي تشير إلى أنه خرقها وبسرعة مجرد خرق لمجرد عيبها والظاهر أنهم كانوا قرب الشاطئ حتى لا يفجع من فيها باحتمال الغرق والتعجيل

---

(١) الألوسي ج ١٥ ، ص ٣٣٥.

(٢) فتح الباري ج ٨ ، ص ٢٩٢.

(٣) فتح الباري ج٨ ص ٢٩٧.

بخرقها يستفاد من الإخبر بأن الخرق كان عقب الركوب حيث أن قوله ﴿إِذَا رَكِبَا﴾ ظرف لقوله خرقها وهو عامل النصب في إذا. وقد يكون ذلك وهي في اللجة فأنكر موسى عليه السلام صنيع الخضر لتحقيق الغرق والذي نرجحه نهم كانوا قرب الشاطئ ولا يمنع ذلك إنكار موسى لأن الغرق أيضاً محتمل. وفي رواية عن الربيع أن أهل السفينة حملوها فساروا حتى إذا شارفوا على الأرض -خرقها. وظاهر الإخبار أنه عليه السلام خرقها وأهلها فيها ومن ثم اعترض موسى عليه السلام فقال: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً﴾ – اللام في قوله تعالى لتغرق – للعاقبة وذلك بناء على حسن ظن موسى عليه السلام وقد تكون للتعليل بناء على أنه الأنسب بمقام الإنكار. يقول ابن كثير وهذه اللام – لام العاقبة- لا لام التعليل. يقول الألوسي يوشك أن يتعين كونها للتعليل لأن الظاهر بناء الجواب عليه. هـ ولكن الظاهر أنها للعاقبة لقراءة قوله ليغرق أهلها بإسناد الفعل إلى الأهل ولم يرد موسى إدراج نفسه في قوله لتغرق أهلها وإن كان صالحاً لأن يدرج فيه – بناء على أن المراد من أهلها الراكبين فيها. وظاهر الآية يفيد أن الخضر خرق السفينة وبالفعل وهي في البحر وتعرض من كان فيها للغرق وأنكر موسى ذلك وحدث ما توقعه الخضر كما أنه من حيث الظاهر تعمد الخضر ذلك عمداً وهكذا تصرف عجيب لا مبرر له في نظر المنطق والعقل- لذا نسي موسى عليه السلام ما التزم به وذلك يفيد أنه لم يكن على ثقة من نفسه فيما التزم ولذلك قيده بالمشيئة ذلك لأن ما قد حدث ينسي فعلاً فمهما

تصور الإنسان هذه المفاجأة فلا شك أن وقعها حين يصطدم بها يكون أكبر أثراً فليس الخبر كالعيان. والتجربة العملية ذات طعم آخر غير التصور المجرد. وتصرف موسى أكبر دليل على ذلك ولذا اندفع منكواً غير صابر على فعلة الخضر مع أنها كانت أول فعلة. وقوله تعالى ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً﴾ يقول أبو عبيدة .. الأمر/ الداهية العظيمة وقال القاضي الأمر : العجب – وقال مجاهد منكراً وقال قتادة عجباً (وفي رواية الربيع بن أنس عند ابن أبي حاتم أن موسى عليه السلام لما رأى ذلك أي خرق السفينة امتلأ غضباً وشد عليه ثيابه وقال أردت إهلاكهم – ستعلم أنك أول هالك ، فقال له يوشع ألا تذكر العهد فأقبل عليه الخضر فقال ﴿ألم أقل لك﴾ .. إلخ فأدرك موسى الحلم فقال لا تؤاخذني.. إلخ وأن الخضر لما خلصوا قال لصاحب السفينة إنما أردت الخير فحمدوا رأيه وأصلحها الله على يديه.هـ)(١).

ونقول ولعل موسى أسرع معترضاً على الخضر معللاً ذلك النسيان لأن الخطر داهمه ومن في السفينة فهول المفاجأة ومداهمة الخطر له أذهله وأنساه لأن الخطر مصوب إليه وبخلاف قتل الغلام فإنه اعترض دون نسيان لبعد الخطر عنه ويقول الطبري معلوم أن إنكار موسى على العالِم خرق السفينة إنما كان لأنه كان عنده أن ذلك سبب لغرق أهلها إذ حدث مثل ذلك الحدث فيها.هـ (ويقول الرازي لما شاهد موسى عليه السلام ما كان من الأمر الخارج عن العادة من العالِم قال:

(١) فتح الباري ج ٨ ، ص ٢٩٢ .

أخرقتها...إلخ وقال ذلك لا لأجل كونه فعلاً قبيحاً بل لأنه أحب أن يقف على وجهه وسببه وقد يقال في الشيء العجيب الذي لا يعرف سببه أنه أمر. وما حدث من موسى بناء على النسيان هـ)[١].

ولكني لست مع الرازي لأن موسى عليه السلام قال ما قال منكراً على الفعل ولأنه تعرض بعده للغرق ولذا قال جئت شيئاً إمراً فلو كان مراد موسى معرفة السبب فقط - كما يقول الرازي لعبر بغير هذا التعبير الذي يفهم منه مع شرحه في الاعتراض أنه إنما أراد الإنكار بل كان الأسلوب يتضمن معرفة السبب وفي صبر ولطف وتؤدة التفت الخضر على موسى غير مستغرب ما حدث من إنكار ونظر إليه معاتباً ومنكراً إياه بعده قائلاً له: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ وهذا متضمن معنى الإنكار عليه لعدم وقوع الصبر منه عليه السلام فأدرك موسى عند ذلك الخطأ وقال معتذراً بنسيان الوصية على أبلغ وجه كما أنكر الخضر عليه بأبلغ وجه أيضاً - كأن نسيانه أمر محقق لا شك فيه ولا غرابة فيه عند الخضر وإنما يلتمس منه ترك المؤاخذة به وكأنه يقول له لا تؤاخذني بنسياني وصيتك في عدم سؤالك حتى تحدث لي منه ذكرا. والتمس موسى ترك مؤاخذته لأن الكامل قد يؤاخذ به وهي مؤاخذة لقلة التحفظ التي أدت إليه هي مؤاخذة بالنسبة لموسى ومركزه وذلك قوله ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ أي لا تضيق عليّ وتشدد ولا تحملني من أمري باتباعي إياك ما لا أطيق.

---

(١) الرازي جـ ٥، ص ٥١٨.

فلا تعسر على متابعتك ويسرها عليّ. وقد صح في البخاري أن الأولى كانت نسياناً.

فقد جاء في حديث ابن عباس كانت الأولى نسياناً والوسطى شرطاً والثالثة عمداً. وفي رواية سفيان قال- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الأولى من موسى نسياناً ولم يذكر الباقي. هـ"[١]

الحدث الثاني:

اعتذر موسى للخضر عليهما السلام قائلاً له – لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني . وسأكون كما شرطت فكن رفيقاً معي فما قد حدث يُنسي كل شرط. وقبل الخضر الاعتذار. وانطلقا يمشيان وذلك قوله تعالى ﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاماً فَقَتَلَهُ﴾ -الآية- الفاء في قوله تعالى فانطلقا فصيحة – أي فقبل عذره- فخرجا من السفينة فانطلقا يمشيان على الساحل كما في الصحيح (وفي رواية محمد بن إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس يقول فيها ثم خرجا من السفينة فانطلقا حتى أتيا أهل قرية. فإذا غلمان يلعبون خلفها فيهم غلام ليس في الغلمان غلام أظرف منه ولا أثرى ولا أوضأ منه فأخذه بيده وأخذ حجراً فضرب به رأسه حتى دمنه فقتله قال – فرأى موسى أمراً فظيعاً لا صبر له عليه. صبي صغير قتله لا ذنب له لذا قال: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً﴾ .. الخ. هـ

---

(١) فتح الباري جـ٨ ، ص ٢٩٢.

ابن كثير"[١] حتى إذا لقيا غلاماً يقول الألوسي يزعمون كما قال البخاري أنه اسمه جيسور وقيل غير ذلك. وصح أنه كان يلعب مع الغلمان من أقرانه. وقيل كان وحده، فأخذه فقتله. هـ وذكر المفسرون أنه أخذ برأسه من أعلاه فاقتلعه بيده أو أخذه ثم أضجعه وذبحه ثم اقتلع رأسه. وقيل ضرب رأسه بالجدار حتى قتله. وفي الصحيحين وصحيح الترمذي ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله. يقول القرطبي ولا خلاف حول أحوال القتل الثلاثة لأنه يحتمل أن يكون دمغه أولاً – بالحجر ثم أضجعه فذبحه ثم اقتلع رأسه. (وفي البخاري قال سعيد وجد غلماناً يلعبون فأخذ غلاماً كافراً ظريفا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين)هـ[٢]. فأنكر عليه موسى عليه السلام أشد النكران. فقال ﴿أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي طاهرة لم ترتكب ذنباً ولم تَقتل حتى تُقتَل لأن الصغار لا يؤاخذون كما أن البالغ قلما ينكو من الذنوب وكان موسى عليه السلام يقول له لِمَ تَقتُل نفساً ظلما بغير حق؟ إن هذا العمل فظيع منكر لا يُعرَف في الشرع. والغلام برئ في نظر موسى. بل لم يبلغ الحُلم حتى يكون مُؤاخَذاً على ما يصدر منه. ولذا قال ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً﴾ أي منكراً جداً ظاهر النكارة إذ المنكر ما أنكرته العقول

---

(١) تفسير ابن كثير ص ١٧٦ ، م ٥ ط الشعب.

(٢) فتح الباري ص ٢٩٣ ج ٨.

السليمة ونفرت عنه النفوس الطاهرة. وعاود الخضر يذكر موسى مرة ثانية بعهده وشرطه قائلاً له ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ﴾ .. الخ. بزيادة –لفظ لك– في المرة الأولى– لأن سبب العتاب أكثر وموجبة أقوى أو القصد التأكيد "وفي الألوسي لزيادة المكافحة على رفض الوصية وقلة التثبت والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار حتى زاد في النكير في المرة الثانية.هـ "فاعتذر موسى عليه السلام للمرة الثانية قائلا ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي﴾ أي إن سألتك بعد هذه المرة فلا تصاحبني. رغم حرصي على التعلم. وفي قراءة فلا تصحبني بفتح التاء أي فلا تكن صاحبي. والمراد المبالغة في النهي – أي فلا تكن صاحبي ألبتة والمراد به الحزم للترك والمفارقة لا الترخيص ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْراً﴾ أي أنك اعتذرت حيث خالفتك للمرة الثانية. وفي هذا الكلام ندم شديد – للغاية. وقد اضطر موسى إلى الاعتراف بأنه غير مستطيع التغلب على نفسه لأنه في هذه ليس ناسياً ولا غافلاً بل قاصداً. قال النووي: والمعنى قد بلغت إلى الغاية التي تعذر بسببها في فراقي حيث خالفتك مرة بعد مرة. وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال –رحمة الله علينا وعلى موسى لو صبر على صاحبه لرأى العجب لكن أخذته من صاحبه زمامة فقال ذلك. أهـ"[1] .

---

(١) الألوسي ج ١٥ ، ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ بتصرف.

أبحاث حول هذه الآيات:

أولها: الغلام قيل معناه من الاغتلام وهو شدة الشبق وذلك إنما يكون فيمن بلغ الحُلم. وإطلاقه على الصبي الصغير تجوز من باب تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه لكن ما المراد منه؟ يقول الألوسي والظاهر أن الغلام لم يكن بالغاً لأنه حقيقة الغلام الشائعة في الاستعمال وإلى ذلك ذهب الجمهور. وقيل كان بالغاً شاباً. وقيل كان ابن عشرين سنة. ويؤيد الرأي القائل بأنه كان صغيراً قوله: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً﴾ أي طاهرة من الذنوب لأنها لا تُؤاخَذ لعدم بلوغها. كما يُستدل من قال بأنه كان بالغاً بقول موسى ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي بغير حق قصاص عليها إذ أن الصبي لا قصاص عليه. ويجيب النووي والكرماني بأن المراد التنبيه على أنه قتله بغير حق إلا أنه أخص حق القصاص بالنفي لأنه الأنسب بمقام القتل. أو أن شرعهم كان إيجاب القصاص على الصبي. وقد نقل المحدثون كالبيهقي في كتاب المعرفة أنه كان في شرعنا كذلك قبل الهجرة. أهـ الألوسي بتصرف"[1].

وفي الرازي ظاهر الآية يدل على أن موسى عليه السلام استبعد أن يقتل النفس إلا لأجل القصاص بالنفس وليس الأمر كذلك لأنه قد يحل دمه بسبب من الأسباب وجوابه أن السبب الأقوى هو ذلك. أهـ"[2].

---

(١) الألوسي ، ج ١٥ ، ص ٣٣٨ - ٣٣٩ بتصرف.

(٢) الرازي ج ٥ ، ص ٥١٨.

ونحن نرجح أن الغلام كان صبياً دون البلوغ. ومن ثم كان إنكار موسى عليه السلام قتله دون نسيان منه وسياق الآية مع هذا الترجيح يقول ابن كثير فلما شاهد موسى عليه السلام هذا أنكره أشد من الأول وبادر بقوله ﴿أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً﴾ أي صغيرة لم تعمل الحنث ولا حملت إثماً بعد فقتلته وبغير نفس أي بغير مستند لقتله. هـ وهي عتاب من موسى على الخضر أكثر منها وصفاً للقتل. والمعنى الشائع للغلام هو للصبي الصغير نحو قوله تعالى في يوسف: ﴿قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ﴾. وقوله تعالى ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ﴾ كما هو في مريم وفي الحديث : يا غلام احفظ الله يحفظك. يقصد ابن عباس وكان صغيراً أردفه عليه الصلاة والسلام خلفه. وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: يا غلام سمّ الله وكُل بيمينك وكُل مما يليك. وقوله تعالى أيضاً – ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ﴾ .. إلخ كما هو في سورة الصافات. ويؤيد ذلك أيضاً أن الخضر وجده يلعب مع الغلمان.

والغالب أن الصغار هم الذين يلعبون وربما لو كان كبيراً لدافع عن نفسه. ولو أي دفاع. ودافع عنه أقرانه فتناول هذا اللفظ الصبي الصغير هو الظاهر.

ثانيها – كيفية قتله – ذكر المفسرون كيفيات عدة لقتله أشرت إليها" ويقول الرازي ليس في القرآن كيف لقياه هل كان يلعب مع الغلمان. أو كان مفرداً. وهل كان مسلما – أو كان كافرا. وهل كان بالغا. أو كان صغيرا. وإن كان اسم الغلام بالصغير أليق وإن احتمل

الكبير. وغن كان يقوله بغير نفس أليق بالبالغ منه وبالصبي لأن الصبي لا يُقتَل. وإن قُتِل.إهـ وأيضاً فهل قُتِل بأن حز رأسه أو بغير ذلك وليس في القرآن ما يدل على شيء من هذه الكيفيات والصفات.أهـ"(١).

ونقول يجوز أن يُقتَل الغلام لأي موجب لأنه كان كافراً وقتل الصغير غير مستحيل إذا أذن الله بذلك كما هو حال هذا الغلام. وكان القتل بأي وسيلة من وسائل القتل المشروع دون تعذيب لا سيما من الخضر وطريقة الذبح وموضعه معلوم. ولذا أرجّح أنه أضجعه ثم ذبحه بالسكين كما نصت رواية البخاري.

ثالثهما – جاء في قوله تعالى ﴿أَقَتَلْتَ نَفساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ قراءتان – زاكية بالألف . وزكية بالياء المشددة. قال الكسائي – الزاكية. والزكية لغتان ومعناهما الطاهرة . وقرأ ابن كثير وأبو عمر – زاكية بتخفيف الياء وألف بعد الزال. وزكية بالتشديد. قال أبو عمرو والزاكية التي لم تُذنب والزكية التي أذنبت. ثم تابت فإن البالغ فلما يزكوا من الذنوب. وهما قراءتان متواترتان وأياً ما كان الوصف. فوصف النفس لذلك – لزيادة تفظيع ما فعل.هـ وقد فزع موسى من هذا القتل وكبر عنده ذلكِ الإثم إذ قد يكون هذا الغلام في تقديره وحيداً لأهله ورجاء لوالدين فضلاً عن وضاعته وبراعته. يقول ابن كثير –وأنه عمد إليه من بينهم وكان أحسنهم وأجملهم وأوضأهم. وأفظع ما يكون أنه قتله

---

(١) الرازي ج ٥ ص ٥١٨.

في غير قود وسفك دمه في غير إثم فيا ترى ماذا يكون تصور موسى الرسول؟ ما وسعه إلا أن قال له ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ أي منكراً بل هو أصبح من تقبيح الشيء من الأمر. وأجابه الخضر مذكراً إياه – بعهده وكأنه يقول له – لقد أعذر من أنذر – ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ بزيادة لك. وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى فكأنه ينكر عليه تسرعه وعدم صبره وقلة تثبته. واعتذر موسى للمرة الثانية بقوله ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾.

وجاء في فتح الباري قوله (وهذه أشد من الأولى، زاد مسلم من رواية أبي إسحاق عن سعيد بن جبير في هذه القصة- فقال النبي صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى لولا أنه عجّل لرأى العجب ولكنه أخذته زمامة من صاحبه فقال ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ هـ. وفي رواية عمرو بن دينار من رواية سفيان في آخر الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وددنا أن موسى صبر حتى يقص الله علينا من أمرهما هـ"[1].

وقد جاء في الكشاف وغيره – لم قيل ﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ بغير فاء – و﴿حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾ بالفاء؟ قلت جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفاً عليه. والجزاء قوله قال أقتلت – فإن قيل لم خولف بينهما؟ قلت لأن خرق السفينة لم يتعقب الركوب. وقد تعقب القتل لقاء الغلام. كأنه يقول له ألم أقل لك

---

(١) فتح الباري ، ج ٨ ، ص ٣٩٣.

أنت على التعيين والتحديد أنك لن تستطيع معي صبرا. فلم تقتنع بل وطلبت الصحبة وقبلت الشرط. وهذا المعنى كأنه ضروري في القصة لأن العبد الصالح لو كان قد تريّث بعض الوقت. فلعل موسى كان قد تبين شأن الغلام. فعلم أنه يستحق القتل وليس الأمر كذلك في السفينة. وقد أجاز النحاة اقتران الجزاء بالفاء على تقدير قد.هـ (يقول الألوسي ما خلاصته أنه لما كان الاعتراض في القصة الثانية معنى بشأنه وأهم – جعل جزاء لإذا الشرطية. وبعد أن تعين للجزائية . لذلك جعل القتل من جملة الشرط بالعطف واختيرت الفاء دون غيرها من حروف العطف ليفاد التعقيب. ولما لم يكن الاعتراض في القصة الأولى مثله في الثانية جعل مستأنفاً وجعل الخرق جزاء. أ هـ)[1] .

وقد استحيا موسى وأدرك أنه اثقل على أستاذه واعترض عليه عمداً في الثانية وكان خليقاً به أن يتذرع بالصبر ولو على مضض إلى آخر الرحلة وقد وعده العالِم ببيان كل شيء ولكنه قطع على نفسه الطريق وجعلها آخر فرصة. قال ابن عباس عن أُبي بن كعب قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكّر أحداً فدعا له بدأ بنفسه فقال ذات يوم رحمة الله علينا وعلى موسى لو ثبت مع صاحبه لأبصر العجب ولكنه قال: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْراً﴾.

رابعها: لفظ الأمر ولفظ النكر – قيل : الأمر أبلغ من النكر لأن

---

(١) الألوسي ، ج ١٥ ن ص ٣٤٠.

خرق السفينة يؤدي إلى إتلاف نفوس كثيرة- وقتل الغلام إتلاف شخص واحد. وهو العظيم الشنيع – مثل الإد- في قوله تعالى لقد جئتم شيئاً إداً. فأمرا أبلغ . يقول الألوسي شيئاً إمرا – أي داهياً منكراً. من أمر الأمر بمعنى كثر. والعرب تصف الدواهي بالكثرة هـ. وقيل النكر أبلغ من الأمر. وأعظم من القبح. فقتل الغلام أقبح من خرق السفينة لأنه قد لا يؤدي إلى الغرق. أما في قتل النفس فقد حصل الإتلاف يقيناً. لذلك كان النكر أقبح من الإمر. وقيل أن قوله ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً﴾ أي عجباً. والنكر أعظم من العجب –وأيضاً النكر ابلغ لأنه كان من قتل مباشر بخلاف الإمر فإنه لفعل يتسبب في الهلاك فالقتل اقبح والاعتراض عليه أدخل وأحق. (وفي الألوسي وقال الراغب المنكر الدهاء والأمر الصعب الذي لا يعرف ولهذه الأبلغية قال بعضهم المراد شيئاً أنكر من الأول. وقال في الكشف الظاهر أبلغية النكر أما بحسب اللفظ فظاهر إما بحسب الحقيقة فلأن خلاق السفينة تسبب إلى الهلاك وهذا مباشرة على أن ذلك لم يكن سبباً مغضباً. أهـ)[١] .

وأنا أقول أيضاً بأن النكر أبلغ – وذلك لوقوع الهلاك للغلام بالفعل. ونجاة السفينة ومن فيها. ولأن ما وقع فعلاً أشد وأفظع مما قدر أنه ربما يقع. فالغرق مجرد احتمال قد لا يكون لسبب أو لآخر كما قد حصل فعلاً أما موت الغلام فأمر مُحَقق لا يقبل أي احتمال. ولأن لفظ الأمر لا يتضمن معنى الفظاعة والشناعة إلا لزوماً. ولأن لفظ النكر

---

(١) الألوسي ج ١٥ ص ٣٤٠ .

مادته من الإنكار الذي هو الرفض وعدم القبول والتعبير به يدل على أنه هو نفس الفظاعة. وفي الحديث "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده" إلـخ والقرآن الكريم ذكر مادة النكر في كثير من آياته كقوله تعالى ﴿تَـأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ إلى غير ذلك. هذا ومصاحبة موسـى للخضر وقرب عهد موسى به. وخوفه من أن لا يصبر طويـلاً علـى تصرفات الخضر كل هذا يرجّح أن يختار للاعتراض الأول لفظاً أخـف وهو لفظ الإمر. يقول ابن عطية وعندي أنهما لمعنيين وقوله أمراً أفظـع وأهول من حيث هو متوقع عظيم. ونكراً بين الفساد لأن مكروهه قد وقع وهذا بيّن. وهذا أبلغ عندي لوقوعه. ولأن لفـظ الأمـر لا يسـتلزم ولا يتضمن الشناعة إلا لزوما. هـ ويقوي هذا الترجيح أيضـاً أن خـرق السفينة يمكن تداركه بالسد كما قد حدث. فضلاً عما قيل أن موسى أخـذ يسده بثيابه. وأخذ الخضر يضع الألواح بنفسه مرة ثانية وقتل الغلام أشد من خرق السفينة لتأكد هلاكه لذا كله نقول بأن لفظ النكر أبلغ من لفـظ الإمر ويقوي ذلك أيضاً أن خرق السفن أمر يحدث كثيراً ولا غرابة فيـه وليس كل سفينة خُرقت- غرقت فنجاتها أمر محتمل بخلاف قتل نفـس زكية بريئة على يد رجل مؤمن عاقل عالِم فإن ذلك أندر من الندار لذلك كان الإنكار عليه أبلغ لأن القتل أقبح من الخرق ولأنه قد يترتب علـى القتل شر مستطير أكثر مما يترتب على خرق السفينة مع احتمال نجاة من في السفينة بوسيلة أو بأخرى. ويؤيد ما رأيناه ما جاء (في بصـائر ذوي التمييز للفيروزآبادي. قوله: لقد جئت شيئاً أمراً وبعده لقد جئت شيئاً نكرا –

لأن الأمر: العجب والعجب يستعمل في الخير والشر بخلاف النكـــر لأن النكر ما ينكره العقل فهو شر. وخرق السفينة لم يكن معه غـــرق فكـــان أسهل من قتل الغلام وإهلاكه فصار لكل واحد معنى يخصه أهـ)[١].

الحدث الثالث:

أنكر موسى عليه السلام قتل الغلام قصداً دون إبداء أيــة أسـباب وذكَّره صاحبه بعهده ووعده فقطع موسى عهداً على نفسه أنه إن ســأله عن الشيء ما أن يقطع الخضر صحبته. وقد قطع موسى بذلك الطريـق على نفسه حياء. وسارا على بركة الله حتى إذا أتيا أهل قرية وقد نــال منهما النصب. وشعرا بالجوع فاستطعما أهلها فأبوا أن يعطوهما ما هــو حق واجب عليهم من ضيافتهما وهما جائعان. نعم إنها قرية ضالعة فـي البخل – ولِمَ لا – وأهلها بخلاء لا يُطعِمون جائعاً ولا يستضيفون ضيفـاً وما ذلك إلا للؤم الأصل وكزازة النفس –أبو أن يضيفوهمـــا– وربمـا يكونون ردوهما رداً غير كريم. وذلك ما يقتضيه البخل وخرجا جـائعين ساخطين. وقبل أن يجاوزوا القرية وجدا جداراً مائلاً يتداعـى للسـقوط يريد أن ينقض. والتعبير يضفي على الجدار حياة وإرادة كالأحياء علـى سبيل المجاز. وفجأة يتقدم الخضر لإقامته وإصلاح شأنه بيــده بـدون مقابل. قال سعيد بيده ورفع يده فاستقام قال يعلى: حسبت أن سعيداً قـال فمسحه بيده فاستقام وهنا يشعر موسى عليه السلام بالموقف المتناقض –

---

(١) بصائر ذوي التمييز ص ١٠٣ للفيروزآبادي.

إذ ما هو الدافع للعالِم أن يجهد نفسه ويقيم جداراً آيلاً للسقوط في قرية ضرب أهلها أسوأ المثل في البخل إذ أنهم لم يقدموا لهما الطعام. وأَبَوْا ضيافتهما - أفلا أقل من أن يطلب على ذلك أجراً؟ ولم يطق موسى صبراً على الخضر وقد رآه يتقدم بفعل الخير دون أن يُطلب منه بل ربما اعتبر ذلك فضولاً لذا قال له ﴿لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً﴾ وكانت هذه الفاصلة فلم يعد لموسى من عذر ولم يعد للصحبة بينه وبين الرجل مجال. ومن ثم قال الخضر ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ لشرطك والمؤمنين عند شروطهم. وقد كان الفراق وقال ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً﴾ أي وذلك حقك عليّ الذي التزمت به من أول الأمر لاختلاف المراد الحقيقي من هذه الأفعال بالظاهر منها. وقد ضربت هذه القرية المثل الأخس في البخل والتقصير في واجب الضيافة بدليل ذم القرآن لها، المستفاد من الآية "وفي الحديث حتى إذا آتيا أهل قرية لئاماً - مسند الإمام أحمد- ٥/١١٩ من ابن كثير" "وفي رواية سفيان فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية - وفي رواية أبي إسحاق عند مسلم أهل قرية لئاماً فطافا في المجالس فاستطعما أهلها.هـ"[1].

حول هذا الحديث حدثنا القرآن الكريم قائلاً ﴿حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً﴾ ٧٧ : ٧٨ الكهف. وفي الآية أمور أيضاً.

---

(١) فتح الباري ج ٨ ، ص ٢٩٣.

أولاً: يقول الرازي الضيافة من المندوبات وقد تكون من الواجبات إذا بلغ الضيف في الجوع حد الهلاك أو قاربه أو كان الجوع شديداً. هـ بتصرف"[١] .

ويقول الشيخ محمد المدني قال استطعما أهلها – ولم يقل استطعماهم لأن أهل القرية الذين أتياهم هم بعض سكانها أما أهل القرية الذين استطعماهم فهم كل سكانها. فلا اختلاف المراد كرر اللفظ وهذا الجواب ليس سديداً كما يقول لأنه ليس الشأن فيمن استطعم أهل قرية أن يتقصاهم واحداً واحداً حتى يستطعم جميع سكانها. هـ ولكن الألوسي "يقول أن الأهل الثاني أي في قوله استطعما أهلها يحتمل أن يكونوا هم الأولون أو غيرهم أو منهم ومن غيرهم – والغالب أن من أتى قرية لا يجد جملة أهلها دفعة – بل يقع بصره أولاً على البعض ثم قد يستقر بهم فلعل هذين العبدين الصالحين لما أتيا قدر الله تعالى لهما استقراء الجميع على التدريج ليتبين به كمال رحمته سبحانه وعدم مؤاخذته تعالى بسوء صنيع بعض عباده. ولو قيل استطعماهم تعين إرادة الأولين فأتى بالظاهر إشعاراً بتأكيد العموم فيه وأنهما لم يتركا أحداً من أهلها حتى استطعماه وأبى ومع ذلك قوبلوا بأحسن الجزاء هـ"[٢] . وقال استطعما أهلها – جملة في موضع جر صفة لقرية فلابد فيها من ضمير رابط يعود على الموصوف فلو قال استطعماهم لما وجد هذا الضمير الرابط

---

(١) الرازي ج ٥ ص ٥١٩.

(٢) الألوسي ج ١٦ ص ٣.

وهذا الجواب أيضاً فيه شيء كما يقول الشيخ المدني لاحتمال أن تكون هذه الجملة صفة لأهل القرية أو جزاء للشرط في قوله "إذا أتيا" وقيل التكرير فيها للتأكيد المقصود منه زيادة التشنيع كما يقول بعض المحققين إذ من دواعي الإظهار في مقام الإضمار قصد التشنيع على نحو قوله تعالى ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ الآية ٥٩ من سورة البقرة. فإنه لم يقل فأنزلنا عليهم استشعاراً باستحقاقهم العذاب. فالأمر في قوله تعالى حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها ليصوروا أن الاستطعام موجه إلى أهل القرية ظاهراً لا إلى ضميرهم وكأن كونهم أهل قرية فيه معنى التوطن والغنى والقدرة على إجابة المستطعم . أو أن المعنى أتيا بعض أهل القرية واستطعما الكل في الاختلاف المقام قال استطعما أهلها والكلام في هذه الآية قائم على التشنيع بأهل القرية وتحقيرهم ووصفهم بزيادة اللؤم وفرط البخل والتعبير القرآني جاء مستكملاً لجميع أوجه التشنيع عليهم لقوله تعالى حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما. فلو أن الآية قالت أتيا أهل قرية لم يضيفوهما لفهم من هذا أنهما تعرضا لأهل القرية فلم يحصل منهم ضيافة لهما. وهذه مرتبة في البخل ولو أن الآية قالت أتيا أهل قرية أبوا أن يضيفوهما لفهم أنهما تعرضا لضيافتهم فكان منهم أمر إيجابي هو إباء هذه الضيافة لا مجرد عدم حصولها منهم وتلك مرتبة أبعد في البخل واللؤم من الأولى وكان يمكن أن يقول استطعما أهلها فأبوا دون ذكر مفعول أبوا اكتفاء بفهمه

من الكلام فتفهم أن الاستطعام حصل وأن إباء حصل ولكـــن لا يكـــون الإباء مسلطاً على صريح الاستطعام بل على ضميره. وتلك مرتبة أشــد في اللؤم والبخل من سابقتيها وكان يمكن التصريح بمفعول أبوا فيقــول، فأبوا الاستطعام فيكون مرتبة رابعة في البخل واللؤم ولكن يكون الكــلام حينئذ محتملاً لقبولهم التصنيف دون الإطعام لهذا كلـــه جـاء التعبـير القرآني مستكملاً لجميع أوجه التشنيع عليهم. وأهل هذه القرية يستحقون هذا التحقير وهذا التشنيع لإبائهم مجرد ضيافة ضيفين مسافرين ولو بــلا طعام. فلا شك أنهم قوم ضربوا في اللؤم بعروق. وهذا الذي ذكر يتمشى مع قول من قال إن التكرير للتوكيد ومع قول من قال أنه لزيادة التشنيع. والاستطعام ليس هو المقصود وحده وإنما المقصود هو ذكر ما حـــدث بعد إتيانهما القرية من الاستطعام وما تلاه فالجزاء هو الاستطعام ومــا عطف عليه بالفاء ، لأن هذا كله هو الذي يكون الغرابة في الأمر وروج لسؤال موسى واعتراضه فإن موسى لم يعترض إلا على إقامة الجــدار دون مقابل مع ما حصل من إباء للاستطعام والضيافة. هـــ القصــص الهادف بتصرف واختصار). (ويقول الألوسي ولعل ذلك الاستطعام كان طلباً للطعام على وجه الضيافة بأن يكونا قد قالا أنّا غريبان فضيفونــا أو نحو ذلك كما يشير إليه قوله ﴿فَـأَبَوْا أن يُضَيِّفُوهُمَـا﴾ دون فــأبوا أن يطعموهما مع اقتضاء ظاهر – استطعما أهلـــها – إيـاه وإنمـا عـبّر باستطعما دون استضافا –للإشارة إلى أن جل قصدهمـــا– الطعـام دون الميل إلى الإيواء. وقال زين الدين الموصلـــي وإنمـا خـص سـبحانه

الاستطعام بموسى والخضر عليهما السلام. والضيافة بالأهل لأن الاستطعام وظيفة السائل والضيافة وظيفة المسئول لأن العرف يقضي بذلك فيدعوا المقيم القادم إلى منزله يسأله ويحمله إليه.هـ"[١].

والذي نراه أن الآية صرحت بأن أهل هذه القرية أبوا الضيافة لقوله تعالى فأبوا أن يضيّفوهما. وسكتت عن الاستطعام. وموسى والعبد الصالح قد طلباه صراحة لقوله تعالى استطعما أهلها- والظاهر من أسلوب الآية واستكمالها لجميع أوجه التشنيع المستفادة من الآية في التصريح بإباء الضيافة وحذف المفعول المطلوب وهو الاستطعام وإعادة ذكر لفظ الأهل المشعِر بزيادة المعنى وأنهم بلغوا في البخل منتهاه فاستحقوا عليه الذم إذ أن أهل القرية أبَوْ الاستطعام والضيافة وربما لو أجابوا استطعامهما لما كان هذا التشنيع ولعل ذلك لأمر أراده الله ليعترض موسى على إقامة الجدار وتظهر الحكمة من ذلك وليس مستبعداً أن تأبى قرية استطعام أو ضيافة بعض الناس فقد تطلب الطعام فلا تجد من يبيعه كما أنك لا تجد من يضيفك. ومن ثم استحقت القرية الذم.

ثانياً: قوله تعالى ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ اختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى قوله ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ الانقاض: السقوط بسرعة يقال انقض الحائط إذا وقع. ومعنى فأقامه – فسواه. لأنه وجد مائلاً فرده كما كان. وقيل نقضه- وبناه. ولكن الحديث

---

(١) الألوسي، ج ١٦، ص ٦.

الصحيح يقول أنه مسحه بيده – وفي الألوسي فأقامه – مسحه بيده. فقام كما رُوي عن ابن عباس وابن جبير. وقال القرطبي أنه هو الصحيح وهو أشبه بأحوال الأنبياء.هـ وإسناد الإرادة إلى الجدار مجاز . قال الزجاج الجدار لا يريد إرادة حقيقية إلا أن هيئة السقوط قد ظهرت يه كما تظهر أفعال المريدين القاصدين فوُصف بالإرادة . وقيل المراد من إرادة السقوط – قربه من ذلك على سبيل المجاز المرسل بعلاقة تسبب إرادة السقوط لقربه أو على سبيل الاستعارة بأن يشبه قرب السقوط بالإرادة لما فيهما من الميل. هـ الألوسي"[1] .

فالمراد لازم الإرادة العرفي وهو القرب من الشيء لأن الإرادة في المحدثات بمعنى الميل ومعلوم أن الجدار لا يريد إرادة حقيقية لأن تهيئة للسقوط قد ظهر كما تظهر أفعال المريدين. فالكلام من باب الاستعارة التصريحية التبعية أو من باب المجاز العقلي أو الاستعارة التمثيلية. وأرجح الأقوال في غقامة الجدار – أنه مسحه بيده فاستقام وهذا هو الذي أرجحه. أما أنه هدمه وبناءه فذلك مستبعد إذ يقول كثير من المفسرين والطبري في كتابه تاريخ الأمم والملوك فأقامه –فهدمه ثم قعد يبنيه. وذلك لأن الخضر إنسان غير عادي والقرآن قال فأقامه أي عدل ميله حتى عاد مستوياً فاستوى بقدرة الله وربما يقوي ذلك أنهما كانا جائعين وقد بلغ بهما النصب والتعب. ولم تقل الآية -فبناه- إنما قالت فأقامه. وليست الحكمة من ذلك هدم وبناء الجدار – وإنما الحكمة من

---

(١) الألوسي ج ١٦ ، ص ٦.

ذلك سر سيعرفه موسى بعد قليل. وقد كانت حال الخضر وموسى عليهما السلام هي حال اضطرار بلغت بهما إلى آخر كسب المرء وهو المسالة فلم يجدا مواسياً ولذا قال موسى للخضر ﴿لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً﴾ . وقيل قال موسى للخضر : قوم أتيناهم فلم يضيفونا ولم يطعمونا لو شئت لاتخذت عليه أجرا. قال الخضر هذا فرقا بيني وبينك . الآية. أي لأنك شرطت عند قتل الغلام أنك إن سألتني عن شيء بعدها فلا تصاحبني فهو فراق بينك وبينك. وقوله ﴿فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ على إضافة المصدر إلى الظرف اتساعاً وأعيد بين في قوله بيني وبينك وإن كان لا يضاف إلا لمتعدد – لأنه لا يعطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار. قال أبو حيان والعدول عن بيننا لمعنى التأكيد والإشارة إلى الفراق المدلول عليه في قوله لا تصاحبني.هـ الألوسي كما أنه يمكن أن يقال إن التكرير يفيد أن الفراق وقع عن تراض لأنهما قراره ولم يستقل به أحدهما دون الآخر وفي ذلك أدب عال من العبد الصالح لعدم حصره عوامل الفراق في صاحبه أو إلى نفسه فيدل على تضجره.هـ وكان لهذا الأدب من العبد الصالح أثره في موسى فتقبله بصدر رحب وهذا هو سلوك أهل الكمال. هذا وقد تحدث المفسرون عن ضخامة الجدار وطوله وعرضه وامتداده بآراء أراها بعيدة عن الصواب ومُبالغ فيها للغاية ولذا أضربت عنها والذي أراه أقرب إلى الصواب أنه جدار عادي مجرد جدار والآية لم تشر إلا بأنه جدار فلو كان على خلاف المألوف لأشارت إليه كما أشار القرآن إلى صنيع فرعون وعاد بقوله ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ

رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ العِمَادِ﴾ وقوله ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ﴾ فحيث لم يشر القرآن إلى شيء مما ذكره المفسرون فيكون جداراً عادياً كأي جدار في هذه الفترة وإلا لو كان بمثل هذه الضخامة لما تعرض للسقوط.

ثالثاً: يُفهم من الآيات أنه منذ رضي كل من موسى والخضر بصحبة أحدهما بالآخر بالشرط الذي كان بينهما أن صحبة غير المتجانسين لا تدوم طويلاً ولو كان كلاهما على حق ذلك لأن الاختلاف إذا كان في الأسلوب المؤدي إلى الغرض فيعذر كل صاحبه كما حدث مع موسى والعبد الصالح أما إذا كان الاختلاف في الغرض نفسه بذلك يؤدي إلى العداوة وسوء الظن كما أنه يفهم من القصة التريث في الحكم فيما لا نعلم وأولى بذلك أهل العلم والرأي والحكم كما أنه يفهم من القصة أن اعتراض موسى في السفينة وفي قتل الغلام كان لله تعالى أما اعتراضه في أمر الجدار فكان لنفسه ومن ثم كان سبب الفراق وكان عليه السلام معذوراً في الأولين لأن ظاهرهما منكر بخلاف أمر الجدار فإنه لا ينكر الإحسان إلى المسيء بل يُحمد وفي الحديث "وأحسن إلى من أساء إليك" . ويمكن القول بأن إنكار موسى الإحسان في إقامة الجدار لا لذات الإحسان لإقامة الجدار إلى المسيئين وإنما لحصوله على ما يتقوى به لأداء المهمة المكلف بها من قِبَل الله.

رابعاً: القرية التي استطعما أهلها : يقول الألوسي الجمهور على أنها أنطاكية وحكا الثعلبي عن ابن عباس وعن قتادة أنها برقة وهي كما

في القاموس اسم لمواضع وقيل قرية على ساحل البحر يقال لها ناصرة وقيل أنها أيلة كما في الرازي (ويقول ابن كثير هي مدينة على ساحل البحر الأحمر مما يلي الشام وهي مدينة اليهود الذين اعتدوا في السبت. نقلاً عن الطبري)[١] . وقيل غير ذلك. والذي أراه أنه لا ضرورة للذهاب بعيداً فليست القرية في أرض الروم ولا في أذربيجان ولا في بلاد المغرب لأن موسى عليه السلام خرج من مصر ببني إسرائيل إلى سيناء وظل بها ومات في التيه ولم يدخل الأرض المقدسة ولم يعد إلى مصر بعد عبوره البحر فمواقفه كلها بعد العبور كانت في سيناء أو قريباً منها. ومن ثم أرجح أن القرية – إما أيلة وهي ما تسمى بإيلات الآن وهي على خليج العقبة ويمكن الوصول إليها وإما قرية على خليج السويس أو في نفس المنطقة. وقلنا أن خليج السويس كان متصلاً بالبحر الأبيض أيام الفراعنة فيحتمل أن تكون القرية في المنطقة الواقعة بين خليج السويس والبحر الأبيض وعلى أية حال القرية المقصودة هي على الأرجح في هذه الحدود وهذه المناطق أقرب ما تكون إلى سيناء ومعلوم أن ما يعنيه القرآن في مثل هذه العبرة والعظة فهو لم يعن بالأسماء ولا بالأمكنة. وإذا كان المفسرون قد ذهبوا إلى أنها في المغرب أو نحوها فكونها قريباً من منطقة السويس من باب أولى وإن كنت أرجح أنها إيلات.

---

(١) تفسير ابن كثير ص ١٨٠ ، م ٥ ط الشعب .

خامساً: موسى بين موقفين:

فارق بين موقف موسى عليه السلام حين التقى بابنتي شعيب وموقفه حيث أتى القرية مع الخضر حين سقى لابنتي شعيب لم يسأل قوتاً بل سقى ابتداء ولم يُطلب منه ذلك وكان أحوج إلى القوت منه حين أتى القرية مع الخضر وفي القرية سألا القوت وفي ذلك أقوال للعلماء منها أن موسى كان في حديثه في مدين منفرداً وفي قصة الخضر كان متبوعاً لغيره فأصابه الجوع مراعاة لفتاه يوشع بناء على أنه كان معهما وقيل لما كان هذا سفر تأديب وكل إلى تكلف المشقة وكان ذلك سفر هجرة فوكل العون والنصرة بالقوت. كما أنه يستفاد من الآية جواز سؤال القوت وأن الجائع وجب عليه طلب ما يرد جوعه خوفاً من الهلاك له والاستطعام سؤال الطعام وسؤال الضيافة على أرجح الأقوال ومن ثم استحق أهل القرية الذم ووصفهم باللؤم والبخل. والظاهر من ذلك أن الضيافة كانت عليهم واجبة وأن الخضر وموسى سألا ما وجب لهما من الضيافة وهذا هو الأليق بحال الأنبياء والأولياء وقلت آنفاً أنهما سألا الطعام ثم سألا الضيافة وهذا هو الذي يُفهم من سياق الآية ولا شيء فيه وها هو موسى نفسه يخرج من مصر حتى يصل إلى أرض مدين بدون طعام ولم يسأل أحداً بل سقى لابنتي شعيب بدون مقابل لما رأى من حالهما وما زاد عن أن قال ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ .

وقلت أيضاً أن سؤاله مع الخضر الطعام وإياء القرية ذلك كان لحكمة بخلاف سفره إلى أرض مدين فكان لحكمة أخرى والآية دليل على

على التعيين والتحديد ... هذا وكان موسى لا شك يجهل صحة الإجارة وهي سنة الأنبياء والأولياء هذا وكان موسى لا شك يجهل هذه المفاجآت المتوالية ولذا أخذ الخضر يبين له الحكمة من كل مفاجأة حدثت في هذه الرحلة.

تفسير الأحداث:

نبأ العبد الصالح موسى عليه السلام بتأويل ما لم يستطع عليه صبراً وإن كان ما أدلى به العبد الصالح ليس هو كل شيء في هذه الأحداث وإنما هو بعض العلم المتصل به والذي أطلعه الله عليه وقد تلاقيا العبد الصالح وموسى عند معنى واحد هو إفادة بعض العلم حين رضي العبد الصالح باتباع موسى له. وقد التزم مع موسى بالخطة المتفق عليها فيما أنبأه من أسرار فلم يضن عليه بكل شيء ولم يبح له بكل شيء ولكن كان بين ذلك قواماً والظاهر أن هذا البيان لم يكن عن طلب من موسى لالتزام الخضر نحوه بقوله ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً﴾ وها نحن نسير مع تفسير الأحداث حسبما رتب القرآن.

تفسير الحدث الأول:

حول بيان هذا الحدث حدثنا القرآن الكريم قائلاً ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾ ٧٩ الكهف.

يقول الخضر ما خلاصته أن السفينة كانت مصدر رزق لهؤلاء

المساكين يكتسبون بها ما يعنيهم على قضاء متطلبات الحياة ولم يكن لهم مال غيرها يكرونها ويأخذون الأجرة ولكن ملكاً ظالماً كان يتبع كل سفينة صالحة للملاحة والكسب يأخذها من أهلها عنوة – دون نظر إلى حال أصحابها. يقول الخضر فأردت أن أعيبها بعيب يبدو في الظاهر مخلاً بصلاحية السفينة لكنه في الواقع يسير ولا يضر بالغرض منها وذلك مني رفقاً بهم ورحمة لضعفهم وعدم مقدرتهم على مدافعة الظالم. حتى إذا شاهدها الملك تركها لما بها من عيب. فإذا جاوزه أصلحوها – فهذا عمل ظاهره الفساد – ولكن باطنه الرحمة وبه نجت السفينة وإن كنت يا موسى قد حسبته داهية محققة وأمراً عظيماً وإنما هو حفظ لمال المساكين وإبقاء على حياتهم. وقد أظهر الله لي الحكمة الباطنة التي خفيت عليك وعلمني من لدنه علماً لا تعلمه. (قال الألوسي كانت لمساكين ضعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة ويشمل هذا ما إذا كان العجز لأمر في النفس أو البدن – ومن هنا قيل سموا مساكين لزمانتهم وقد كانوا عشرة خمسة منهم زمنى وعلى هذا فإطلاق مساكين عليهم من باب التغليب. هـ بتصرف (يقول الرازي كانت لأقوام محتاجين متعيشين بها في البحر سماهم الله مساكين.. ومقصود العالِم من خرقها جعلها معيبة لئلا يغصبها ذلك الظالم. ولعل هذا التصرف وبهذا القدر في ملك الغير ولمثل هذا الغرض كان جائزاً في تلك الشريعة. ومثل هذا الحكم في شريعتنا غير بعيد.هـ) فقد خرقها قصداً بعد تصميم وعزم لا جزافاً لقوله فأردت أن أعيبها.. (وذكر النقاش في تفسيره أن أصحاب

السفينة كانوا سبعة بكل واحد زمانه ليست في الآخر.هـ)[١] . وهل كانت السفينة ملكاً لهم؟ يقول القرطبي كانت لعشرة أخوة من المساكين ورثوها من أبيهم. وقيل كانوا بها مؤاجرة لها طلباً للكسب أي لحمل الأمتعة ونحوها وكانوا هم الذين يخدمونها لا المستأجرون وقيل كانت معهم عارية يقول ابن كثير أنهم أصحابها ولم يكن لهم شيء ينتفعون به غيرها وقد قيل أنهم أيتام هـ وبذلك يقول الشوكاني أيضاً. هـ.

ونقول الظاهر أنها كانت مملوكة للمساكين يعملون بها في البحر. ويكتسبون رزقهم عن طريقها. ومهنتهم العمل فيها. وهذا ما تشير إليه الآية. وكثيراً ما نرى رجالاً أو أناساً يعيشون عن طريق العمل في البحر في مركب يملكونها ويعملون عليها وهم في الوقت نفسه فقراء لا يملكون شيئاً غيرها. ولذا نرجح أن اللام للمِلك لا – للاختصاص ،يقول الألوسي وقيل أنهم نزلوا منزلة من لا شيء له أصلاً فأطلق عليهم المساكين ترحماً . وقرأ علي كرّم الله وجهه لمسّاكين بتشديد السين أي ملاحين هـ)[٢] . فهي كانت لمساكين ليس لهم غنى عنها وهي مصدر رزقهم ومن أجلهم عيبت للحفاظ عليها. وهم على الأرجح ملاكها مع احتمال زيادة دخلها لاستيلاء الملك على كل سفينة صالحة. وقوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ أي أجعلها معيبة بالخرق مجرد عيب فقط عن قصد وعزم وتصميم ولم أرد إغراقها ولا إغراق من بها ومن ثم قال

---

(١) فتح الباري جـ ٨ ن ص ٢٩٢.

(٢) الألوسي جـ ١٦ ص ٩.

فأردت – ولم يقل فأعبتها وظاهر هذا أن اللام في وقله لتغـــرق أهلــها للتعليل ولذا قال مبينا لعله الخرق وكان وراءهم ملك يأخذ كــل ســفينة غصباً – أي أمامهم وبذلك قرأ ابن عباس وابن جبير وآخرون . ومجيء وراء بمعنى أمام كثير في القرآن كقوله تعالى ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾. وقيل إنما جاز استعمال وراء بمعنى أمام على الاتســاع لأنها جهة مقابلة لجهة فكانت كل واحدة من الجهتين وراء الأخرى إذا لم يرد معنى المواجهة . يقول الألوسي ولا خلاف عند أهل اللغة في مجيء وراء بمعنى أمام وإنما الخلاف غير ذلك وأكثرهم على أنه معنى حقيقي يصح إرادته منها في أي موضع كان. وقالوا هي من الأضداد وظــاهر كلام البعض أن لها معنى واحد يشمل الضدين قال ابن الكمال نقلاً عــن الزمخشري أنها اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف أو قدام هــ . والذي نراه في ذلك فهي بمعنى أمام إذا كان الملك قدامهم. وبمعنى خلف إذا كان الملك خلفهم. فيكون الخوف أثناء رجوعهم. ولا مفر من ذلـك إذ أن البحر هو أرضية عملهم وكسبهم وكلا المعنيين يؤيده القرآن الكريـم. غير أني أرجح أنها على ظاهرها وأن الخوف على اســتيلاء الســفينة وغصبها كان أثناء رجوعهم على الملك وإذا أمكن حصل الكلام علــى الحقيقة في الضرورة للمجاز وقد يؤدي ذلك من أنه قيل أن المعنى كــان وراءهم – أي يتتبعهم على حد قولنا نحــن وراءك يــا فــلان – أي لا نتركك ولا نحل عنك "وقد تكون وراء بمعنى مكان ويكون الملــك مــن وراء الموضع الذي يركب منه صاحبه وكان مرجع السفينة عليه كمــا

يقول الرازي. هـ" أما عن الملك "فقد روى ابن جريج عن وهب بن سليمان عن شعيب الجبائي أن اسم ذلك الملك هو هدد ابن بدد – وكذا في رواية البخاري في غير رواية سعيد يقول ابن جريج هو هدد بن بدد. هـ"[١] . وهو مذكور في التوراة في ذرية العيص ابن إسحاق وهو من الملوك المنصوص عليهم في التوراة.هـ"[٢] . كما يقول ابن كثير. وفي القرطبي والجمل وغيرهم أن اسمه جيسور وكان ملك غسان وكان كافراً. أو أن المراد من قوله ملك – أي جبار ظالم وليس ملكاً معهوداً. ونقول لم يتعرض القرآن لاسمه ولا لبلده – إلا لكونه ملكاً. ونقف عند ظاهر النص والذي يعنينا أنه ملك ظالم يغتصب أموال الناس. ففي رواية النسائي وكان أبي يقرأ يأخذ كل سفينة صالحة غصبا. وفي رواية إبراهيم بن يسار عن سفيان وكان ابن مسعود يقرأ كل سفينة صحيحة غصباً. هـ فتح الباري[٣] .

تفسير الحدث الثاني:

حول تفسير هذا الحدث قال الله تعالى : ﴿وَأَمَّا الغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً﴾ ٨٠، ٨١ الكهف- يقول الخضر عليه السلام وأما الغلام الذي قتلته فكان أبواه أي أبوه وأمه مؤمنين فالكلام على

---

(١) فتح الباري ج٨ ، ص ٢٩٤.

(٢) تفسير ابن كثير ص ١٨١ ، م ٥ ط الشعب .

(٣) فتح الباري ، ص ٤٩٤ ، ج ٨.

التغليب أو استحياء من ذكر الأم واسم الأب "كازير" واسم الأم"سهوا" كما هو في الإتقان. وكان الغلام كافراً ففي صحيح مسلم أن الغلام طُبع يوم طُبع كافراً. فخشيناه أن يرهقهما طغياناً وكفراً. أي فخفنا خوفاً شديداً أن يغشى الوالدين المؤمنين كفراً لو بقي هذا الغلام حياً . وطغيانه – مجاوزته للحدود الإلهية– وكفره– كفره بالله تعالى. فقد يحملهما حبهما له على متابعته فيؤدي بهم ذلك إلى الكفر. (يقول الألوسي ولعل عطف الكفر على الطغيان لتفظيع أمره. ولعل ذكر الطغيان مع أن ظاهر السياق الاقتصار على الكفر ليأتي هذا التفظيع أو ليكون المعنى فخشينا أن يدنس إيمانهما أولاً ويزيله آخراً وذلك أشنع واقبح من إزالته بدون سابقة تدنيس. وفسر بعض شُرّاح البخاري الخشية – بالعلم. فقال أي علمنا أنه لو أدرك وبلغ لدعا أبويه إلى الكفر فيجيبانه ويدخلان معه في دينه لفرط حبهما إياه. وهذا كما – كنى عن العلم بالخوف من قوله ﴿إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ كما يقول الطبري. ويجوز أن يكون قوله فخشيناه من كلام الله. ويكون المعنى كرهنا كراهة من خشي سوء عاقبة أمره. ولكن الظاهر أنه من كلام الخضر أجاب به موسى عليه السلام من جهته. يقول ابن عطية أن الخوف والخشية كالترجي بل ونحوها الواقع في كلامه تعالى مصروف إلى المخاطبين وإلا فالله منزّه عن كل ذلك. هـ". بتصرف[١] . فالظاهر أن الكلام كلام الخضر كما هو واضح من سياق الآية وقد خاف على الأبوين أن يؤديا بهما حبهما لابنهما أن

---

(١) الألوسي ج ١٦ ، ص ١١.

يتجاوزوا حدود الله بل وكفرهما. إذ أن الخشية بمعناها الظاهر لا تكـون من الله وإنما كانت من الخضر لزيادة فضل علمه على موسى فيما ذكـر كما ينبئ عن قوله– فأردنا أن يبدلهما ربهما. وهل كان الغلام بالغـاً أو صبياً؟ خلاف والأرجح أنه كان صبياً مميزاً وعلم الخضر بإعلام الله لـه أنه لو صار بالغاً لكان كافراً يتسبب عن كفره إضلال أبويه وكفرهمـا. وإن كان ظاهر شريعتنا يأباه غير أنه يجوز أن يكون حلاً في شـريعة أخرى أما إذا كان بالغاً كافراً وقاطعاً للطريق كما قيل فلا إشكال وقد قلنا آنفاً أن قوله تعالى – ﴿أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً﴾ أي طاهرة لم تقترف إثماً بعد ويمكن أن يكون للخضر شريعة من عند الله سبحانه تسوغ له ذلك وعلى أية حال فقد أذن الله للخضر فيما فعل. فلم يتصرف من تلقـاء نفسـه. واستطرد الخضر موضحاً مراده لموسى بقوله ﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً﴾ أي بأن الله يبدلهما بدلاً منه ولداً خـيراً منه أي ديناً ورحمة إليهم وبراً بهما مطهراً من الذنـوب مصانـاً مـن الأخلاق الرديئة. (وفي الألوسي عن عطية أن المعنى هما بـه أرحم منهما بالغلام ولعل المراد على هذا أنه أحب غليهما من ذلـك الغـلام لحسن خلقه أو خلقه أو كليهما معاً. هـ بتصرف – وفي ابن كثير "قـال قتادة قد فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قُتل ولو بقي كـان فيـه هلاكهما فليرض امرؤ بقضاء الله. ويقول ابن كثير أيضاً فأردنا أن يبدلهما .. إلخ أي ولداً أزكى من هذا وهما أرحم به منه. قاله ابن جريج.هـ"[1].

---

(١) تفسير ابن كثير ص ١٨١ ، م ٥ ط الشعب.

وقيل بدلاً ولداً ذكراً. وقيل جارية تزوجت نبياً وولدت نبياً فـــهدى الله على يديه أمة من الأمم. ونقول لا مانع من ذلك غير أني أرجـــح أن البدل كان غلاماً زكياً مؤمناً باراً بوالدين والبدل من جنس المبدل منـــه. الضمير في قوله خيراً منه يؤيد ذلك. والولد الذكر قرة عيـــن للأبويـــن أكثر من البنت لما جلبت عليه النفوس البشرية من حب الأبناء الذكـــور والتطلع إليهم أكثر من الإناث. وآيات البشارة في القرآن الكريـــم تؤيـــد ذلك. كقوله تعالى ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ﴾ وقوله ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُـــلامٍ عَلِيمٍ﴾ وقوله تعالى ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ﴾ وقوله تعالى ﴿يَا بُشْرَى هَـــذَا غُلامٌ﴾. ودعوة زكريا إذ نادى ربه بقوله ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِياً﴾. إلى غير ذلك من الآيات التي تفيد أن الولد الذكر هو غاية ما يطلبه الوالدان. ومهما يكن من عاطفة فإن سلامة العقيدة فوق حب الأبناء والآباء فرحـــم الله الأبوين المؤمنين بأن أطلع الله الخضر فقتل هذا الغلام وجنّب والديـــه مشقة مقاومته وجهادهما عاطفتهما – بسببه كما جنبهما خشية اتباعـــه. وخلاصة القول أن الخضر عليه السلام بعد أن بين لموسى الحكمة مـــن خرق السفينة وسر ذلك الذي كان خافياً عليه أخذ يبين له الحكمة من قتل الغلام فقال ما مفاده وأما الغلام فكان مطبوعاً على الكفر طاغ تكمن فـــي نفسه بذور الكفر والطغيان وإن كان لا يبدو في حاضره ومظهره أثـــر لذلك. وكان أبواه مؤمنين . وقد كشف الله ستر الغيب عن حقيقته . فأراد الله ووجه إرادتي يا موسى إلى قتل هذا الغلام المطبوع على الكفر حفظاً لأبويه ودينهما ورجاء من الله أن يرزقهما خـــيراً منـــه. ولا ريـــب أن

الخضر قتل هذا الغلام بأمر من الله بل كذلك كل ما وقع في هذه الرحلة وإلا فكيف يبيح الخضر لنفسه فعل ما حدث والشرع له الظاهر والغلام غير مكلف. وحتى لو كان مكلفاً فإنه لم يحدث منه ما يستحق القتل. ولا يجوز الإقدام على قتل إنسان بناء على ظنه إلا إذا تأكد هذا الظن بوحي من الله. يقول القرطبي وكان للخضر قبله [illegible] من سره وأنه طُبع كافراً كما جاء في الحديث الصحيح "ففي البخاري قال سعيد وجد غلماناً يلعبون فأخذ غلاماً كافراً ظريفاً فأضجعه ثم ذبحه بالسكين. هـ فتح الباري. وقد أشرت إلى ذلك آنفاً. وكان ابن عباس يقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً وأما الغلام فكان كافراً. هـ كما جاء في فتح الباري وأشرت إلى ذلك أيضاً . فليس لغير الخضر أن يفعل مثل فعله لأنه أوحي إليه أن يعمل بحكم الباطن وخلاف الظاهر خلافاً لشرعنا فإنه لا يجوز قتل صغير لا سيما بين أبوين مؤمنين فلو فرضنا أن الله أطلع بعض أوليائه كما أطلع الخضر عليه السلام – لم يجز له ذلك لمخالفته ظاهر الشريعة فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أولاد الكفار الصغار فضلاً عن أولاد المؤمنين" (يقول الألوسي ولما كان الاعتراض الثاني غاية المبالغة والإنكار هناك في نهاية الإنكار أشار إلى أن ما اعترض عليه وبولغ في إنكاره – قد أريد به أمر عظيم ولو لم يقع لم يؤمن من وقوع خطب جسيم لذا أسند الخشية والإرادة إلى ضمير المعظم نفسه أو المتكلم ومعه غيره.

فإن في إسناد الإرادة إلى ذلك تعظيماً لأمرها وفي تعظيمه تعظيم

أمر المراد وكذا في إسناد الخشية إلى ذلك تعظيم أمرها. وفي تعظيمه تعظيم أمر المخشي. وربما يقال أن في ذلك الإسناد إشارة إلى أن ما يخشى وما يراد قد بلغ في العظم إلى أن يشارك موسى عليه السلام في الخشية منه وفي إرادته الخضر -لا- أن يستقل بإنكار ما قد حدث. هـ بتصرف)[١] . وفي تاريخ الطبري وكان اعتراض موسى في قتل الغلام والسفينة لله أما في الجدار فكان لنفسه[٢] .

تفسير الحدث الثالث:

حول تفسير هذا الحدث يقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً﴾ ٨٢- الكهف.

قوله تعالى وأما الجدار- أي المذكور في قوله فوجدا فيها جداراً فكان مملوكاً لغلامين يتيمين. وهما قيل أصرم وصريم مات أبوهما وتركهما صغاراً فاليتيم من بني آدم من مات أبوه وتركه صغيراً للحديث- لا يُتْمَ بعد بلوغ. والمدينة هي القرية المدينة المذكورة في قوله تعالى حتى إذا أتيا أهل قرية. ولعل التعبير عنها بالمدينة هنا لإظهار نوع الاعتداد بها بإعداد ما فيها من اليتيمين وما هو من أهلهما وهو

---

(١) الألوسي ج ١٦ ص ١٦.

(٢) ابن كثير ص ١٨٣ ، م ٥ ط الشعب.

أبوهما الصالح- هـ- الألوسي بتصرف. والواضح أنه يجوز إطلاق القرية على المدينة والعكس كقوله تعالى ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ﴾ وهي مكة أم القرى. ولا شك أنها من أكبر المدن – وقوله تعالى ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ والمعنى مكة والطائف وهما مدينتان . ومراد الآية أن الخضر أصلح هذا الجدار وذلك قوله ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ قال عكرمة وقتادة وغير واحد كان تحته مال مدفوع لهما وهذا ظاهر سياق الآية كما يقول ابن كثير وهو اختيار ابن جرير وذكر سعيد بن جبير وغيره أنه كنز علم وقال مجاهد صحف بها علم وقد ورد في ذلك حديث مرفوع عن أبي ذر رضي الله عنه قال إن الكنز الذي ذكر الله في كتابه -لوح من ذهب مصمت مكتوب فيه عجبت لمن أيقن بالقدر لم نصب؟. وعجبت لمن ذكر النار لم ضحك وعجبت لمن ذكر الموت لم غفل؟ لا إله إلا الله محمد رسول الله. ويسوق ابن كثير رواية نقلاً عن الطبري يقول وحدثني أحمد بن حازم الغفاري حدثتنا هنادة بنت مالك الشيبانية قالت سمعت صاحبي حماد بن الوليد الثقفي يقول سمعت جعفر بن محمد يقول في قول الله تعالى وكان تحته كنز لهما – قال سطران ونصف لم يتم الثالث عجبت للموقن بالرزق كيف يتعب؟ وعجبت للموقن بالحساب كيف يغفل؟ وعجبت للموقن بالموت كيف يفرح؟ قالت وذكر أنهما حفظا بصلاح أبيهما ولم يذكر منهما صلاح. ولكن الظاهر أنه كنز مال مدفوع من ذهب وفضة كما أخرجه البخاري في تاريخه والترمذي والحاكم

وصححه من حديث أبي الدرداء. "يقول الرازي اختلفوا في الكنز فقيل أنه كان مالا وهذا هو الصحيح لوجهين الأول أن المفهوم من لفظ الكنز – هو المال. الثاني أن قوله ويستخرجا كنزهما يدل على أن ذلك الكنز هو المال. وقيل أنه كان علماً بدليل أنه قال وكان أبوهما صالحاً. والرجل الصالح يكون كنزه العلم لا المال إذ كنز المال لا يليق بالصلاح لقوله تعالى في سورة التوبة ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.هـ[1] . والذي أراه أنه لا مانع أن يكون كنزر مال وعلم أيضاً – بمعنى أن يكون كنزا من مال مكتوباً عليه بعض الحكم فتكون الفائدة مزدوجة دينية ودنيوية. ولا ينافي هذا إصلاح الأب لا سيما إذا كان الكنز أدت منه الحقوق. ولا ضرورة لصرف الآية عن ظاهرها بجعله علماً فقط كما ذكر البعض –كما أن العلم من حيث هو علم لا يُدفن ووصف أبيهما بالصلاح قرينة على أنه لم يكن من الكنز المذموم– كما أن المعلوم من كلام العرب أن الكنز اسم لما يُكنز له من مال. ومحور القصة يدور حول أحداث ثلاثة خرق السفينة لحدوث عيب ظاهري فيها كي تحفظ لأهلها وهي مال أريد حفظه. ثانياً– قتل الغلام كراهة أن يؤدي بقاؤه لكفر والديه وذلك يمس العقيدة ، ثم ختمت بالجدار وإقامته حفظاً على الكنز. فالقصة بدأت بهدف مادي والحفاظ عليه. وختمت كذلك. وذلك مع ظاهر اللفظ يرجح بأنه كنز مال. وغير معهود لدى الناس دفن العلم مجرداً تحت الأرض لا

---

(١) الرازي ج ٥ ، ص ٥٢٢.

سيما إذا كان صاحبه رجلاً صالحاً والطمع عادة في المال وليس في العلم. وجُبل الناس على الحفاظ عليه. وقد رجح الطبري أنه كنز لمال. والتعبير بكونه ليتيمين يقتضي كونه مالاً يجب حفظه. ولا غرابة في كونه كنزاً من مال مكتوب عليه علم لما قد ثبت من العثور على بعض الآثار منقوشاً عليها وصايا وطقوساً دينية ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً﴾ الظاهر أنه الأب الأقرب الذي هو والدهما. وقيل كان الأب العاشر. وعن جعفر الصادق أنه كان الأب السابع. وأيا ما كان ففي الآية دلالة على أن صلاح الآباء يفيد العناية بالأبناء. هـ الألوسي ونحن مع الألوسي أنه الأب الأقرب

ذلك لأن كون الجدار مائلاً للسقوط يفيد بأنه ليس الأب البعيد فالناس كانوا حينئذ يعمرون فلو قلنا أنه الأب السابع أو العاشر لكان معنى ذلك أن الجدار مر عليه قرون وذلك بعيد في الغالب. لأنه ملك لفرد – لا ملك لحاكم ولا لدولة وغالباً لو كان الأب البعيد لنص القرآن عليه. وعلى أية حال أفادت الآية الكريمة أن صلاح الآباء يحفظ الأبناء لقوله تعالى في سورة النساء {وليَخشَ الَّذين لو تَركُوا من خَلْفِهِم ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافوا عليهم فَلْيَتَّقُوا الله} وقوله تعالى {والذين آمنوا واتَّبعَتْهُم ذُريتهم بإيمانٍ ألحقنا بِهِم ذريتهم} آية ٢١-الطور.

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بِمَ حفظ الله تعالى مال الغلامين؟ قال بصلاح أبيهما. وذكر من صلاح هذا الرجل أن الناس كانوا يضعون عنده الودائع

فيردها إليهم كما وضعوها كما جاء في الألوسي. قوله تعالى ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي مالكك والمتصرف في أمرك أن يبلغ اليتيمان الصغيران الحُلم ويصيرا أقوياء بحيث يمكنهما استخراج كنزهما والانتفاع به والمحافظة عليه. وفي إضافة الرب إلى ضمير موسى عليه السلام دون ضميرهما – أي أنه قال تعالى فأراد ربك – ولم يقل ربهما – تنبيها لموسى على حتمية كمال الانقياد والاستسلام لإرادته سبحانه دون مناقشة شيء مما وقع. وقد فعلت ما فعلت رحمة من ربك. فرحمة مفعول له – لا راد – وأقيم الظاهر مقام الضمير – أو جاء رحمة من ربك – والرحمة بمعنى الوحي أي برحمة ربك ووحيه. هـ الألوسي بتصرف – وما فعلته عن أمري أي عن رأيي واجتهادي والمعنى ما فعلته في الأحداث الثلاثة إنما هو رحمة من الله بأصحاب السفينة. ووالدي الغلام وولدي الرجل الصالح فليس لي فيه شأن إلا أني أُمرت بتنفيذ ما حدث. {ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا} أي ذلك مآل وعاقبة الذي لم تستطع عليه صبراً مما رأيت حتى أُخبرك به ابتداء (وقال هناك ما لم تستطع عليه صبراً ليقابل الأثقل بالأثقل وقال هنا ما لم تستطع بدون تاء ليقابل الأخف كقوله تعالى ﴿فما اسطاعوا أن يظهروه﴾ وهو الصعود إلى أعلاه ﴿وما استطاعوا له نقباً﴾. وهو أشق من ذلك. فقابل كلاً بما يناسبه لفظاً ومعنى) ابن كثير وقد أفاد الخضر بهذا التأويل أنه ما أقدم على تنقيص أموالهم وإراقة دمائهم وأ، ذلك ما كان إلا بالوحي والنص القاطع وقد أوضح لموسى ما ضاق

صدره عنه ولم يطق السكوت عليه. وهو اتضاح ما كان مشتبهاً على موسى. وقد وضح الخضر لموسى عليهما السلام الحكمة المغيبة عن موسى من إقامة الجدار خوفاً من سقوطه دون طلب الأجر رغم حاجتهم إلى الطعام. وعدم ضيافة القرية لهم لسوء خُلقها. لأن العمل خالصاً لله والمعروف يصنع في أهله وفي غير أهله. وقد نفض الخضر يده من الأمر آخر الرحلة. واختفى كما بدا لقد مضى في المجهول كما خرج من المجهول. فالقصة تمثل الحكمة الكبرى التي لا تكشف عن نفسها إلا بمقدار ثم تبقى مغيبة في علم الله علاّم الغيوب. نعم هي رحمة الله اقتضت هذا التصرف رحمة منه بعباده.

هذا وقصة الخضر عليه السلام بما حدث فيها من مخالفة الظاهر لا تصلح حجة للقائلين بالمخالفة بين علمه وعلم موسى. فإن أعظم ما يشكل فيها – قتل الغلام. وقد قُتِل لكونه طُبع كافراً وخُشيَ من بقائه حياً ارتداد أبويه وقد يكون ذلك شريعة مخصوصة به لأنه كما قال العلامة السبكي أُوحِيَ إليه إن يعمل بالباطن. وخلاف الظاهر الموافق للحكمة فلا إشكال فيه وإن عُلِمَ من شريعتنا أنه لا يجوز لأحد بأي حال كائناً من كان قتل صغير لا سيما بين أبوين مؤمنين لأنه لا يوصف بكفر حقيقي ولا إيمان حقيقي. واتفاق الشرائع لم يذهب إليه أحد. وإقامة الجدار لا إشكال فيه لأنه إحسان وغاية ما يقال فيه أنه المسيء فليكن كذلك. ولا ضير فإنه من مكارم الأخلاق. وأما خرق السفينة لتسلم من غصب الظالم فلا بأس به فقد يجب تعييب مال اليتيم والسفيه والمجنون على

ولي أمرهم إذ خاف عليه أن يأخذه الظالم. وجوّز بعض الفقهاء قتل الثلث لإنجاء الثلثين كما يجوز بتر عضو لسلامة صاحبه. فما صنعه الخضر هو واقعة شريعة. وقد كانت رحلة موسى أشبه ما تكون بالابتلاء. وكان أعلم من الخضر عن الله. وكان الخضر أعلم منه في ما قد حدث في الرحلة وليس لأحد أن يتصرف ظاهراً محتجاً بما فعله الخضر عليه السلام.

وللإمام الرازي حول أحداث الرحلة كلام خلاصته: أن المسائل الثلاث مشتركة في شيء وهو أن أحكام الأنبياء مبنية على الظواهر كما قاله عليه الصلاة والسلام. نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر بخلاف أحكام هذا العالم فأنها كانت مبنية على الأسباب والحقيقة الواقعة في نفس الأمر ذلك لأن الظاهر أنه يحرم التصرف في أموال الناس وفي أرواحهم من غير سبب ظاهر. يبيح ذلك التصرف كما هو الحال في خرق السفينة. وقتل الغلام. فليس فيه سبب ظاهر كما أن الإقدام على إقامة ذلك الجدار فيه تعب ومشقة من غير سبب ظاهر أيضاً. وحكم ذلك العالم في المسائل الثلاث ليس مبنياً على الأسباب الظاهرة المعلومة. بل كان ذلك الحكم مبنياً على أسباب معتبرة في نفس الأمر. وفي هذا دلالة على أن ذلك العالم قد أتاه الله قوة عقلية قدر بها أن يشرف على بواطن الأمور ويطّلع به على حقائق الأشياء فكانت مرتبة موسى في معرفة الشرائع والأحكام بناء على الأمر الظاهر. ومرتبة العالم الوقوف على بواطن الأشياء وحقائق الأمور. والاطلاع على أسرارها الكامنة. وبهذا

ظهر أن مرتبته في العلم كانت فوق مرتبة موسى عليه السلام. ويتضح من ذلك أن المسائل الثلاث مبنية على واحد هو ارتكاب أخف الضررين. لأن العالم لو لم يخرق السفينة لغصبها ذلك الملك وضاعت على أصحابها بالكلية فبقاؤها معيبة في أيدي مُلاَّكها خير من فواتها سليمة في أيدي الملك. وكذلك أمر الغلام لو بقي حياً لأفسد والديه لذلك قدم على قتله – أما إقامة الجدار فالمشقة الحاصلة فيه أقل ضرراً من سقوطه لأنه لو سقط لضاع مال اليتيمين لهذا قيل أن الخضر كان مخصوصاً بالوقوف على بواطن الأشياء. وأما موسى فعالم بالشريعة وأحكامها. ولعل سائلاً يقول هل كانت رحلة موسى إلى ذلك العالم ليتعلم بواطن هذه الأمور؟ ونقول كانت رحلة موسى بالدرجة الأولى ليعلم أن هناك من هو أعلم منه وأن علم الله متعدد بالجوانب منه الظاهر الذي يعلمه موسى. والباطن الذي لا يعلمه وأن علم موسى وعلم كل العالمين قطرة من بحر من علم الله تعالى. وليعلم أن فوق كل ذي علم عليم. فضلاً عن أن علم الباطن يمكن تحصيله بتجريد النفس وتزكيتها وتطهير القلب عن ما سوى الله. يقول الرازي لما كملت مرتبة موسى في علم الشريعة بعثه الله إلى هذا العالِم ليعلم موسى أن كمال الدرجة في أن ينتقل الإنسان من علوم الشريعة المبنية على الظواهر إلى علوم الباطن المبنية على الإشراف على البواطن والتطلع إلى حقائق الأمور. أ هـ بتصرف كثير)[1] .

---

(١) الرازي ج ٥ ، ص ٥٢١.

وخلاصة القول أن الخضر خرق السفينة التي حملتهما وأركبهما أصحابهما بغير نول ويكافئهم بضد صنيعهم ويتسبب على ما كان يظهر لموسى في غرق ركابها الوادعين – وقد كان من حق السفينة التي حملتهما حفظها والحرص عليها. وقتل الغلام الزكي الذي لم يسيء إليهما ولا إلى أبويه. ويقيم جداراً يريد أن ينقض بغير أجرة يتقاضاها في قرية أبت ضيافتهما. وكان من حق الغلام أن يحب ويحرس. ومن حق القرية التي تنكرت لهما ألا يُحسن إلى أهلها ولا يحرص على أموالهم ولكن الخضر يعاكس المعقول المعروف المنتظر ويتخذ في المواقف الثلاث موقفاً لا يقره العقل ولا يؤيده المنطق من حيث الظاهر. وموسى لا يملك نفسه . ومن ثم يعترض وينكر ثم تنتهي الرحلة ويكشف الخضر القناع ويتضح أنه كان مصيباً محسناً حكيماً في تصرفاته الثلاث فقد أحسن إلى صاحب السفينة بخرقها لحفظها من الاغتصاب وأحسن إلى أبوي الغلام بقتله إذ كان فتنة لهما فرأى أن بكاء ساعة خير من بكائهم طوال حياتهم. ورأى أن الغلام يعوض ولا عرض عن الدين والعافية. وقد أصلح الجدار وأقامه لما تحته من كنز لهما حفظاً عليه لهما. وقد أفاد ذلك أن صلاح الرجل ينفعه وينفع أولاده وقد تبين من القصة أنه ليست الحقيقة إلا ما تتراى للعيون. وأن الظواهر هي التي يصح عليها الحكم وأن الإنسان جدير بأن تُسند إليه إدارة هذا العالم. وقد تحدث هذه القصة التفكير المادي والفلسفات المادية فنقضت هذا الأساس وهدمت هذا البناء وانتهت بقول الخضر لموسى عليهما السلام ﴿ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً﴾.

أمور في القصة:

أولاً : قال تعالى حاكياً عن الخضر قوله في السفينة ﴿فأردتُ أن أعيبها﴾ وفي الغلام ﴿فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة﴾ وفي الغلامين اليتيمين ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما﴾ . وقد اختلفت الإضافة في هذه الإرادات الثلاث مع أنها كلها في قصة واحدة ورحلة واحدة فلماذا؟.

يقول الرازي أنه لما ذكر العيب إضافة إلى إرادة نفسه – فقال فأردت أن أعيبها ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيهاً على أنه من العظماء في علوم الحكمة فلم يقدم على هذا القتل إلا لحكمة عالية. ولما ذكر رعاية مصالح اليتيمين لأجل صلاح أبيهما إضافة إلى الله تعالى لأن المتكفل بمصالح الأبناء لرعاية حق الآباء – ليس إلا الله أ هـ"[١] . كما أنه قيل أن الخضر أضاف العيب في السفينة إلى نفسه في قوله – فأردت أن أعيبها – وأسند الإرادة في أمر الجدار لله في قوله – فأراد ربك – رعاية للأدب. ولأنه لما كان إسناد الإرادة في الجدار خيراً كله إضافة إلى الله تعالى كما أنه أضاف أيضاً قتل الغلام إلى نفسه وإن كان بأمر من الله لأنه أيضاً نقص وعيب. وأضاف التبديل إلى الله في قوله فأردنا أن يبدلهما ربهما – تأدباً أيضاً مع الله ولأنه سبحانه وحده هو الذي يملك ذلك على حد قوله تعالى ﴿وأنّا لا ندري أشرٌ أُريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً﴾. آية ١٠ من سورة الجن. ويقول ابن

---

(١) الرازي ، ج ٥ ، ص ٥٢٣.

كثير في قوله ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما﴾ – ها هنا أسند الإرادة إلـى الله تعالى لأن بلوغهما الحُلم لا يقدر عليه إلا الله. هـ وقيـل أضاف الرب إلى ضمير موسى تشريفاً له (وفي الجمل أن هـذا التغـاير في التعبير في المواضع الثلاث فأردت وقوله فأردنا – وقوله فارد ربـك – لتنويع العبارة. ولست مع الجمل فإن كل كلمة في موضعها لحكمة ومـا ذكره المفسرون أوقع. وبعضهم أبدى حكمة في اختلاف التعبير فقـال – أن الأول لما كان إفساد محضاً عبّر فيه بقوله فـأردت أدبـاً مـع الله. والثالث لما كان إصلاحاً محضاً – ونعمة من الله عبّر فيه بقوله فـأراد ربك. والثاني لما كان فيه نوع إفساد ونوع إصلاح عـبّر فيـه بقولـه فأردنا..إلخ هـ)[١] .

ويقول الألوسي ما خلاصته ولعل إسناد الإرادة أولاً إلى ضمـير المتكلم وحده – أنه الفاعل المباشر للتعييب. وثانياً إلى ضمـير المتكلم ومعه غيره لأن إهلاك الغلام بمباشرته وفعله وتبديل غيره موقوف عليه تعالى وهو بمحض فعل الله تعالى وقدرته. فالضمير في {فأردنا} مشترك بين الله تعالى والخضر عليه السلام. وثالثاً إلى الله تعالى أي قوله {فأراد ربك} لأنه لا مدخل له عليه السلام في بلوغ الغلامين واعترض علـى توجيه الضمير – في نا – وأنه مشترك بين المخلوق والخالق. وقالوا فيه ترك الأدب مع الله. وقال البعض لا كراهة في ذلك للحديث – أن يكـون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ويقول الألوسي أيضاً وخلاصـة مـا

---

(١) الجمل ج٣ ، ص ٤٩.

قرر في هذه المسألة أن الحق أنه لا كراهة في ذلك في كلام الله تعالى ورسوله ﷺ كما أشير إليه في شرح البخاري. وأما في حق البشر فمكروه تنزيهاً في مقام دون مقام. والألوسي لا يقول باشتراك الضمير لأن الظاهر أنه كضمير خشينا الذي الظاهر فيه – عدم الاشتراك. والذي يراه الألوسي أنه روعي في الجواب حال الاعتراض وما تضمنه وأشار إليه. فلما كان الاعتراض الأول متضمناً إسناد إرادة الأغراض إلى الخضر عليه السلام بناء على أن لام لتغرق للتعليل وكان الإنكار فيه دون الإنكار لما يليه – ناسب إسناد إرادة للتعييب إلى نفسه – لنفي إرادة – الإغراق. ولما كان الاعتراض الثاني في غاية المبالغة – والإنكار هناك في نهاية الإنكار. ناسب ذلك إسناد الخشية والإرادة إلى ضمير المعظم نفسه أو المتكلم ومعه غيره تعظيماً لأمرها وأمر المراد وكذا في إسناد الخشية تعظيم أمرها وفي تعظيمه تعظيم أمر المخشي ولما كان الاعتراض الثالث هيناً جدا ولا تصلب فيه ناسب أن يلين في جوابه ولا ينسب لنفسه استقلالا أو مشاركة – ما – لذا أسند الإرادة إلى الرب سبحانه وإضافة إلى ضميره عليه السلام. هـ بتصرف"[١] (وفي بصائر ذوي التمييز للفيرو أبادي يقول قوله فأردت وفي الثاني فأردنا وفي الثالث فأراد ربك لأن الأول في الظاهر إفساد فأسنده إلى نفسه والثالث إنعام محض فأسنده إلى الله وقيل بأن القتل كان منه وإزهاق الروح كان من الله. هـ)[٢].

---

(١) الألوسي ، ج ١٦ ، ص ١٥ ، ١٦ ، ١٧ بتصرف.

(٢) بصائر ذوي التمييز ص ٣٠٢ .

ونقول ما ذكره المفسرون جدير بالاهتمام ويقتضيه المقام – غير أني أميل إلى أن الخضر أسند إلى نفسه الإرادة أولاً لأنه المباشر للفعل وتأدباً مع الله. لأن الفاعل الحقيقي هو الله. وإنما الخضر ما هو إلا عبد مأمور بتنفيذ ما أُمر به. واشترك في الثاني في قوله فخشينا وفي قوله فأردنا لكونه باشر قتل الغلام أيضاً. فلابد من تعليل لذلك. وليشير بكونه ما تصرف إلا عن حكمة. أما إرادة الإبدال فلأن ذلك لا مدخل فيه للخضر ولا لغيره. قوله فأراد ربك – تنبيهاً لموسى أن هذا التصرف هو بإرادة ربك وحده المتولي شئون عباده لأنه الذي يملك بلوغها قوتهما. وكان الخضر يلمح لموسى قائلاً ما تصرفت إلا بأمر ربك الذي علمني ما لم تعلم وبعثك لتتعلم علي.

ثانياً : فتى موسى – قد يتساءل البعض أين فتى موسى؟ إنه لم يُسمع له ذكر من بداية الرحلة حتى آخرها غير مجرد الإشارة إليه والحوار البسيط الذي جرى بينه وبين موسى وبمجرد لقاء موسى بالخضر عليهما السلام لم نسمع عنه شيئاً. ونقول:

اختلف في ذلك يقول الألوسي {فانطلقا} أي موسى والخضر عليهما السلام ولم يضم يوشع عليه السلام لأنه في حكم التبع. وقيل رده موسى إلى بني إسرائيل أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس مرفوعاً. ونقول واحد من أمرين إما أن يكون قد صرف فتاه لما لقي الخضر وهو الأظهر كما يقول البعض وإما أن يكون واصل معهما الرحلة واكتفى بذكر المتبوع وهو موسى دون التابع كما يقول الإمام أبو العباس.

وأني أرى أن الفتى كان معهما واكتفي بذكر موسى دون فتـاه لأن موسى هو المقصود في القصة. وما كان فتاه إلا خادماً له وربما كان في صحبة الفتى لموسى نوع من الاستئناس به وليس ضرورياً ذكره فـإن العظماء حين يرحلون إلى جهة أو يزورون مكاناً فإنه يقال جاء الأمـير وذهب الأمير ولا يُذكر معه خدم فعدم ذكر الفتى لا يفيد بالضرورة عدم وجوده. ورواية البخاري تشير إلى أن الفتى كان معهما في الرحلة ففيها فمرت بها سفينة فكلموهم أن يحملوهم وفي رواية الربيع بن أنس فقـال كبيرهم إني أرى رجالاً على وجوههم نور لأحملنَّهم فالرواية من أسلوب الجمع وفوق ذلك فإني أقول ليس مستحسنا ترك الفتى أو صرفه عند لقاء موسى والخضر بل ربما كان من الحكمة أن يظل الفتى مع موسى طوال الرحلة للاعتبار أيضاً وكنوع من التدريب والتأهيل للنبوة إذ أن الفتى هو الذي تولى أمر بني إسرائيل بعد موسى وليكون مصاحباً لموسـى عنـد فراق الخضر له. ونتساءل ما هي الحكمة في أن يرجع الفتـى وحـده وموسى كذلك؟ وقد سار موسى والخضر مرحلة أ, مراحل وركبا سـفينة وسارا في البحر ونزلا قرية أي أنها رحلة شاقة وهما رجـلان ونبيـان فكيف بموسى وحده؟ وإني أستبعد تماماً ما نُسب إلى ابن عباس أن الفتى شرب من ماء الحياة فخلد.. إلخ. وضعف ابن كثير هـذه الروايـة. ولا يصدق ذلك فالرواية دخيلة على ابن عباس فليس معقولا أن يقدم للخضر على فعل كهذا ويطبق على الفتى سفينته كما ذكرت الرواية ولـو كـان ذلك صحيحاً لذكره القرآن وذكر الحكمة منـه. يقـول ابـن كـثير أن

المقصود بالسياق إنما هو قصة موسى مع الخضر وذكر ما كان بينهما. وفتى موسى معه تبع له. وقد رجحنا آنفاً أنه يوشع بن نون الذي تولى أمر بني إسرائيل بعد موسى وهذا دليل على إبطال الرواية المنسوبة إلى ابن عباس أن الفتى خلد.

تحقيق القول في الخضر نبوته وحياته وموته:

أولاً: قلنا أن الخضر سُمّي لأنه قعد على فروة بيضاء فاهتزت من تحته خضراء. وقد ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال إنما سُمّي الخضر لأنه جلس على فروة فإذا هي تهتز من تحته خضراء. والمراد الحشيش اليابس. أو أن المراد بذلك وجه الأرض وقال مجاهد سُمي الخضر لأنه كان إذا صلى اخضر ما حوله. هـ ابن كثير. وقد ذكر ابن قتيبة في المعارف أن اسم الخضر بليا بن ملكان بن فالع بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن اسم ابن نوح عليه السلام قالوا وكان يكنى أبا العباس ويلقب بالخضر وكان من أبناء الملوك. ذكره النووي في تهذيب الأسماء- هـ بتصرف ابن كثير[١].

والصواب كما قال النووي والجمهور على أن الخضر لقبه..

وأني مع الجمهور في أن العبد الصالح هو الخضر لما روي في ذلك من روايات لا سيما رواية الإمام أحمد ورواية البخاري ولا مانع أن

---

(١) ابن كثير ، ص ١٨٣ ، م ٥ ، ط الشعب.

يكون الخضر لقبه وأن اسمه بليا وأن أبا العباس كنيته والألقاب معروفة منذ زمن بعيد. هذا وقد اختلف فيه أهو رسول – أم نبي – أم ولي؟ وبكل قيل وهل عاش حياة عادية. أم أنه عمّر؟ وخلاف بين العلماء.

ونقول ما عمّر الخضر بل عاش حياة عادية وإن كان قد عمّر فبمقدار بمعنى أنه كان قبل موسى وعاصره وعاش بعده ولكن كل ذلك بقدر وإني أستبعد تماماً أن الخضر ابن آدم لصلبه كما قال الحافظ بن عساكر في قصص الأنبياء لابن كثير ص ٢١٤ ج٢ لاستبعاد ذلك في العادة لا لاستحالة قدرة الله والأخبار المتواترة أن نوحاً عليه السلام أطول الناس عمراً. وقد أخبر القرآن عنه وعن مدة رسالته ونجاته والمؤمنين معه ووفاته فلو كان الخضر أطول عمراً من نوح أ, أنه كان معه لأخبر القرآن بذلك صراحة لذا فنحن نجزم بأن قول الحافظ بن عساكر غير صحيح. لا سيما وأنه ما بين آدم ونوح . ثم ما بين نوح وإبراهيم ويوسف وما بين يوسف وموسى أكثر من أربعمائة سنة فضلاً عن القرون التي سبقتهما فكان الخضر بناء على رواية الحافظ بن عساكر عاش معظم الدهر. لذا قلت أنه قول باطل. والقرآن لم يتعرض لذكر عمره لعدم تعلق غرض به كما أن الأرجح في الخضر أنه ليس ملكاً كما يقول البعض لاختلاف طبيعة البشر عن طبيعة الملك ولأنهما طلبا الطعام والضيافة ولا دليل على أنه كان ملكاً وطلب الطعام لموسى فقط. بل طلباه وسألا ما وجب لهما من الضيافة. كما أن أصحاب السفينة قد عرفوا الخضر وحملوهما بغير نول كما جاءت بذلك الروايات التي

أشرنا إليها آنفاً. (فنص الرواية كما هو في فتح البخاري فمرت بها سفينة فعرف الخضر فحملوهم في سفينتهم بغير نول. هـ)[1] .

وذلك يعني أنه كان معروفاً لديهم . وفضلاً عن ذلك فالقرآن ذكره صراحة بلفظ العبودية لقوله تعالى {فوجدا عبداً من عبادنا} فلو كان ملكاً لنص عليه. وكذلك قول موسى له ﴿لو شئت لتخذت عليه أجراً﴾ والملك لا يأخذ أجراً . فهذا يرجح أنه ليس بِملَك فلا خبر قاطع يفيد أنه كان ملكاً. أو ابن آدم لصلبه. أو أنه كان ابن فرعون كما ذكرت بعض الكتب. والحق أن الخضر عبد صالح. آتاه الله رحمة من عنده. وعلّمه من لدنه علماً. وعاش حياة عادية كحياة البشر. وليس ملكا. فالقرآن لم يتناولها لا في رحلته مع موسى لحكمة. فلو عمّر الخضر زمناً طويلاً أو أرسل لبني إسرائيل كما يقول ابن اسحاق أو غيرهم. أو خلّد كما يزعم البعض. لنص القرآن على ذلك لندرته وغرابته. ولبينت السنة الصحيحة حقيقة هذا الأمر وحيث أن ذلك يكن فنحن ما ما ذكره القرآن. يقول الطبري في تاريخه – وإنما قلنا قول من قال كان الخضر قبل موسى بن عمران عليه السلام أشبه بالحق من القول الذي قاله ابن إسحاق. وحكاه عن وهب بن منبه للخبر الذي رواه أُبي بن كعب عن رسول الله ﷺ أن صاحب موسى بن عمران وهو العالم الذي أمره الله تبارك وتعالى بطلبه إذ ظن أنه لا أحد في الأرض أعلم منه هو الخضر.هـ

---

(١) فتح الباري ج ٨ ص ٢٩٧.

ورسول الله ﷺ كان أعلم خلق الله بالكائن من الأمور الماضية والكائن منها الذي لم يكن بعد هـ.

ونقول هذا فيما أذن الله له فيه لقوله تعالى {عالم الغيب فلا يُظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول} الآية ٢٦ من سورة الجن. وقد رضي الله عنه وأعطاه لقوله تعالى {ولسوف يعطيك ربك فترضى} الآية ٥ من سورة الضحى.

ثانياً: نبوته:

قلت أن الخضر ليس بملك على الأرجح وليس هناك نص صريح على تعينه وإلا لما كان هناك خلاف إذا فمن هو؟ هل هو رسول؟ ونقول ليس برسول على الأرجح ذلك لأن الرسول هو من أُوحيَ إليه بشرع وأُمر بتبليغه للناس. ولم يرد أنه بعث في قوم يبلغهم شريعة الله ولم يرد له في القرآن ذكر في سياق المرسلين وأصحاب الرسالات اللهم إلا في قصة موسى عليه السلام فقط. وكان المراد من علمه وما منحه الله من علم الغيب كان من أجل موسى الذي نسب العلم لنفسه ظاناً أمعتقداً أو محدثاً أنه أعلم الناس. فقيل له أن هناك عبداً من عبادي مجهول لا تعرفه - أعلم منك اذهب وتعلم عليه. ولو كان الخضر رسولاً لعلم موسى بذلك. ولأخبر به. ولعرفنا أمته إلى غير ذلك من مقتضيات الرسالة. ولا شك أن موسى كان قريباً منه بدليل أنه سرعان ما التقى به. نعم عدد المرسلين جم غفير منهم من عرفنا ومنهم من لم نعرف لقوله

تعالى {رسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك} الآية ١٦٤- النساء. لكن لم يقص القرآن علينا خبر رسالته وقد عرفناه من خلال قصة موسى عليه السلام. وقد عبر عنه القرآن بأنه عبد من عباد الله دون أي وصف وذلك قوله عز وجل فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا. (وذلك خلافاً لما ذكره المسعودي في مروج الذهب حيث قال وذكر بعض أهل الكتب أن الخضر هو خضرون ابن عمائيل بن النصر بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم. وأنه أرسل إلى قومه فاستجابوا له فكان موسى بن عمران . هـ)[1] . ولكن هذا القول لا يعتد به لما ذكرناه والجمهور على أنه ليس برسول وبانتهاء رحلته مع موسى اختفى إلى عالم مجهول وليس هذا شأن المرسلين كما أنه لم يكن من بني إسرائيل وإلا لكان معروفاً لموسى وكان تابعاً له. فموسى رسول بني إسرائيل في عصره وما كان فيه أعلم منه. بقي أن نقول هو ولي .

الأرجح أيضاً أنه ليس بولي ذلك لأن المتعلم تبع للعالم والتلميذ تابع لأستاذه وموسى عليه السلام رسول الله وكليمه ومن أولي العزم فكيف يتعلم على ولي ويتتلمذ عليه؟ غير أنه يجوز أن يشذ عن الفاضل المفضول في بعض الأمور. فليس في تعلم موسى من الخضر ما يدل على أن الخضر كان أفضل منه فالخضر إن كان ولياً فموسى أفضل منه. والنبي أفضل من الولي ، وإن كان نبياً فموسى يفضله بالرسالة ولا مانع أن يتعلم الفاضل شيئاً من المفضول لم يعرفه. غير أن سياق القصة

---

(١) مروج الذهب للمسعودي، ج ١ ص ٢٨.

وأسلوب موسى مع الخضر يرجح أن الخضر ليس ولياً خلافاً للقشيري وجماعة. وكيف يطلع الولي على حقيقة أمور لا يطلع عليها أرباب الشرع الظاهر. فأساليب الكلام الذي رعاها موسى عليه السلام في سوق كلامه على علو مقامه من غاية التواضع مع الخضر عليه السلام ونهاية الأدب واللطيف يرجح أن الخضر نبياً وليس بولي لأنه لو كان ولياً ما خاطبه موسى بهذه المخاطبة. وما رد هو على موسى هذا الرد. لذا نقول الخضر نبي من وجوه وذلك لما يلي:

(أ) يرى الجمهور أنه نبي وشواهد ذلك من الآيات والأخبار كثيرة وبمجموعها يكاد يحصل اليقين. والقصة تشهد بنبوته. لأن بواطن الأمور لا تعلم إلا بالوحي. والوحي للأنبياء وذلك ما يستفاد من أفعاله في القصة والتي لا تصدر إلا بوحي. وقوله تعالى آتيناه رحمة من عندنا – يقوي كونه نبياً. فالجمهور على أن المراد من الرحمة – الوحي والنبوة – وهي كذلك في مواضع عدة في القرآن من ذلك قوله تعالى ﴿ورحمة ربك خيرٌ مما يجمعون﴾ – قيل أنها النبوة وعلى لسان نوح عليه السلام قوله تعالى ﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده﴾ وعلى لسان صالح عليه السلام قوله ﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة﴾. فالمراد من الرحمة النبوة – وقيل أنها بمعنى النعمة– والنبوة أفضل النعم.

(ب) سياق القصة يدل على نبوته ومن ذلك قول موسى له ﴿هل أتبعك على أن تعلمن مما عُلِّمت رشدا﴾ فقد سأله موسى بهذا الأسلوب

مستفهما طالباً مجرد اتباعه. ولم يقل أصاحبك. لأن الصاحب شريك في الرحلة. وقال على أن تعلمن. وهذا اعتراف من موسى بأن الخضر أعلم منه في ما جاء من أجله. وقوله مما عُلِّمت رشـــدا – أي بعضـــاً ممـــا عُلِّمت. فهذا الأسلوب الواضح من الآية يرجح أن الخضر نبي فموســـى رسول من أول العزم فكيف يطلب أن يتعلم وبهذا الأسلوب مـــن ولـــي؟ والرسول لابد أن يكون أعلم أهل زمانه في العقائد والأمر كذلـــك فمـــا يطلبه موسى من علم ليس خاصاً بالعقائد وإنما طلب أن يتعلـــم علومـــاً غيبية وأسراراً خفية لا تعلق لها بذلك من غيره لا سيما إذا كـــان ذلـــك الغير نبياً كما قيل في الخضر . (وفي قصص الأنبياء لابن كثـــير فقـــد سأله موسى أتباعه لينال ما عنده من العلم الذي اختص به دونه. فلو كان غير نبي لم يكن معصوماً وما سأله موسى بهذا التلطف ولم تكن لموسى كبير رغبة ولا عظيم طلبة في علم ولي غير واجب العصمة. ولا عـــزم على الذهاب إليه والبحث عنه والتواضع له. وقد احتج بهذا المسلك بعينه الرماني على نبوة الخضر عليه السلام. وقد نعت الخضر في الروايـــات التي ذكرت في القصة أنه أعلم من موسى وإن كان ليس مطلقاً كالحديث القائل إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك على معنى أعلـــم فـــي بعض العلوم. كل هذا يرجح أن الخضر نبي هـــ ويقول الألوســـي (ولا تراني أفضل ولياً ليس بنبي في علم الحقيقة على ولي هو نبي ولا أقـــول بولاية الخضر عليه السلام دون نبوته)[١] .

---

(١) الألوسي ج١٥ ، ص ٣٣.

كما أن رد الخضر على موسى عليه السلام بقوله {إنك لن تستطيع معي صبراً} إلخ. يشير إلى أنه نبي وإلا فكيف يرد ولـي علـى نبي ورسول بهذا الأسلوب حتى وإن كان أستاذاً – لطف ورجاء واسـتئذان وأدب للغاية من موسى عليه السلام ليكون تابعاً فقـط. ورد لا يعـرف اللين من الخضر هذا الأسلوب يجعلنا نرجح نبوة الخضر على ولايته.

(ج) إقدام الخضر على قتل الغلام ولا يكون ذلك إلا بوحي من الله إليه وهذا دليل مستقل على نبوته وبرهان ظاهر على عظمته بأن الولـي لا يجوز له الإقدام على قتل النفوس بمجرد ما يلقى فـي خـاطره لأن خاطره ليس بواجب العصمة لجواز الخطأ عليه بالاتفاق. وقد دل ذلـك على نبوته وأنه معصوم كما أنه يحتمل أن يكون جواز تكليف الممـيز قبل أن يبلغ كان في تلك الشريعة.

(د) تأويل الخضر لأحداث القصة آخر الأمر لموسى عليهما السلام وتوضيح المراد من كل ما حدث وقوله بعد ذلك وما فعلته عن أمـري دليل على نبوته لأن المعنى – ما فعلته من تلقاء نفسي بل أمر أُوحي إلي فيه- . هـ)[١] . فقد دلت هذه الوجوه على نبوته عليه السلام وقد يقال لم يرد للخضر كبير عمل يرشحه للنبوة. ونقول النبوة هبة لا تنال بالكسب يتفضل الله بها على من يشاء من عباده. فضلاً عن أنه كـان مجـهولاً. والنبي قد تكون له شريعة يتعبد بها في خاصية نفسه. وقد امتاز الخضر

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير بتصرف ج ٢ ص ٢٢٠.

عن موسى ببعض علم الغيب. قال ابن عطية كان علم الخضر علم معرفة بواطن الأمور وأوحيت إليه لا تعطى ظواهر الأحكام أفعاله بحسبها. وكان علم موسى علم الأحكام والفتيا بظاهر أقوال الناس وأفعالهم وليس للخضر أفضلية على موسى بعلمه هذا. فموسى يفضله بأمور كثيرة. الرسالة والتكليم . والتوراة. وقد ذكر في القرآن أكثر من مائة وست وثلاثين مرة حتى قيل كاد القرآن أن يكون لموسى. وقلنا أنه نبي وليس برسول. لأن النبي أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بالتبليغ وليس ضرورياً أن تكون له معجزة فإن هناك من الرسل من ليس لهم معجزات تذكر كإلياس وشعيب. فدلت هذه الوجهة على نبوة الخضر عليه السلام ولا ينافي ذلك حصول ولايته بل ولا رسالته كما قاله آخرون.

وبعد هذه الشواهد على نبوة الخضر لم يبق للقائلين بولايته وأن الولي قد يطلع على حقيقة الأمور دون أرباب الشرع الظاهر مستند يستندون إليه. ذلك لأن مقام النبوة أعلى من مقام الولاية.هـ ويمكن القول بأن الخضر نبي وولي باعتبار كل نبي ولي ولا عكس فولايته مندرجة في نبوته وهي أعلى مرتبة من الولاية إذ من شرطها العصمة فما حدث من الخضر لا نقول بأنه كرامة فتلك من خصائص الأولياء. إنما هي أمور تقوم مقام المعجزة أريد بها إعلام موسى أن ما أوتيه من العلم وغيره أقل من القليل. والمعجزة ليست شرطاً لكل نبي كما أنها تكون عند التحدي وبغيره بخلاف الكرامة فإنها تكون للولي وتأتي عن طريق الكسب.

(هـ) النبوة والولاية – النبوة هبة وعطاء من الله لا تأتي عن طريق الكسب – أما الولاية فتأتي عن طريق الكسب والاجتهاد فكلما زاد صلاحه زاد قربه من الله. والنبي أوحي إليه بشرع أمر بالتبليغ أو لم يؤمر بخلاف الولي فإنه تابع لشريعة. والنبي مؤيد من الله بالعصمة بخلاف الولي فهو غير معصوم والنبي لابد وأن يعرف أنه نبي. بخلاف الولي ففيه خلاف. والنبوة لا تكون استدراجاً لأنها هبة من الله. ولا مانع من معرفة الإنسان نفسه أنه ولي من باب الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه. كما أن هناك فارق بين المعجزة والكرامة. فالكرامة من شرطها الاستتار. أما المعجزة فمن شرطها الإظهار والكرامة تظهر بدون دعوة. أما المعجزة فقد تكون مقرونة بالتحدي وقد لا تكون وهي دليل للنبي على نبوته. كما أن الأحاديث الدالة على ثبوت الكرامات كثيرة. والواقع يشهد بذلك ولا سبيل إلى إنكارها. ومنكرها متعنت كما أنه لا ضرر في ثبوتها. ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: بينما رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حره – أي أرض ذات حجارة سود – فإذا شرجه من تلك الشراج والشرجة طريق الماء وسبيله قد استوعبت ذلك الماء كله. فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاه فسأله عن إسمه والمسحاه المجرفة من الحديد فقال يا عبد الله لم سألتني عن اسمي؟ قال إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هو ماؤه يقول اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها؟ قال أما إذا قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج

منها فأتصدق بثلثه. وآكل وأنا وعيالي ثلثاً. وأرد فيها ثلثاً. وهذا أكبر دليل على حدوث كرامات الأولياء. غير أن الكرامة للولي والمعجزة للنبي. وما حدث من الخضر يقوم مقام المعجزة على أرجح الأقوال.

ثالثاً: حياته وموته:

انقسم الناس في موت الخضر وحياته إلى فريقين. فريق يرى أنه مات. والفريق الآخر يرى أنه ما زال حيا إلى الآن. ونحن نذكر خلاصة لآراء الفريقين مرجحين ما نراه في هذه المسألة.

جاء في تفسير ابن كثير قوله وكان يكنى أبا العباس ويلقب بالخضر وكان من أبناء الملوك ذكره النووي في تهذيب الأسماء وحكى هو وغيره في كونه باقياً إلى الآن ثم إلى يوم القيامة قولين. وما هو وابن الصلاح إلى بقائه وذكروا في ذلك حكايات وآثار عن السلف وغيرهم. وجاء ذكره في بعض الأحاديث ولا يصح شيء من ذلك وأشهرها أحاديث التعزية أي تعزية الخضر في رسول الله ﷺ وإسناده ضعيف.هـ)[1] (وفي قصص الأنبياء لابن كثير أيضاً قوله وأما الخلاف في وجوده إلى زماننا هذا فالجمهور على أنه باق إلى اليوم وذكروا أخباراً استشهدوا بها على بقائه إلى الآن)[2] .

ولكن كل الآثار التي استشهد بها القائلون بحياته مطعون فيها وقد

---

(١) تفسير ابن كثير ص ١٨٤ ، م ٥ ط الشعب.

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير ج٢ ص ٢٢٠.

أضربت عن ذكرها يقول ابن كثير في قصص الأنبياء لـه. وهذه الروايات والحكايات هي عمدة من ذهب إلى حياته إلى اليوم وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جداً لا يقوم بمثلها حجة في الدين والحكايات لا يخلو أكثرها عن ضعف الإسناد. وقصارها أنها صحيحة إلى من ليس بمعصوم من صحابي أو غيره لأنه يجوز عليه الخطأ والله أعلم هـ)[١].

وقد تصدى الشيخ أبو الفرج الجوزي رحمه الله في كتابه "عجالة المنتظر في شرح حالة الخضر "للأحاديث الواردة في ذلك من المرفوعات. فبين أنها موضوعة. ومن الآثار عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم فبين ضعف أسانيدها بيان أحوالهما. وجهالة رجالها وقد أجاد في ذلك وأحسن الانتقاد. هـ)[٢] .

ويرى القائلون بحياته أنه باق في الأرض وأنه يحج البيت الحرام ودليلهم أنه شرب من عين الحياة. ويؤيد القرطبي أنه حي ويقول لا حجة لمن استدل بالحديث (ما من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة وهي يومئذ حية. صحيح مسلم عن جابر لأن العموم وإن كان مؤكداً لاستغراق فليس نصاً فيه بل هو قابل للتخصيص فكما لم يتناول عيسى عليه السلام فأنه لم يمت ولم يقتل فهو حي بنص القرآن ومعناه. ولم يتناول الدجال مع أنه حي بدليل حديث الجساسة وهي دابة الأرض – التي تخرج آخر الزمان وسميت جساسة لتجسسها الأخبار للدجال فكذلك

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير ج ٣ ص ٢٣٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٣٤.

لم يتناول الخضر وليس شاهداً للناس لا ممن يخالطهم حتى يخطر ببالهم حال مخاطبة بعضهم بعضاً. فمثل هذا العموم لا يتناوله القرطبي)[١].

وفي الألوسي ذهب جمهور العلماء إلى أنه حـــي موجـــود بيـــن أظهرنا وذلك متفق عليه عند الصوفية قاله النووي وذكر حكايات تؤيـــد حياته. بل وأنه ابن آدم ولصلبه ونقل عن الثعلبي أن الخضر نبي معمـــر على جميع الأقوال محجوب عن أبصار أكثر الرجال)[٢].

ويرى فريق أنه مات يقول القرطبي ذهب الجمهور من الناس إلـــى أن الخضر مات. ومما يقضي بموته عليه السلام قوله ﷺ أرأيتكم ليلتكـــم هذه فإنه لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد وإلى هذا ذهـــب البخاري واختاره القاضي أبو بكر بن العربي والحديث أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر قال صلى بنا رســـول الله ﷺ ذات ليلـــة صلاة العشاء في آخر حياته فلما سلم قام فقال "أرأيتكم ليتكم هـــذه فإنـــه على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد هـــ. والمراد أن ينخرم ذلك القرن.

ورواه أيضاً من حديث جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر "تسألوني عن الساعة وإنما علمـــها عنـــد الله. وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة وفـــي

---

(١) تفسير القرطبي ص ٤٠٨١ ط الشعب.

(٢) تفسير الألوسي ج ١٥ ص ٣٢١ ، ٣٢٢ بتصرف.

محمد وهو حي ليؤمن به وينصرنه وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لأن بعث محمد وهم أحياء ليومنن به ولينصرنه. ذكره البخاري عنه. فالخضر إن كان نبياً أو وليا فقد دخل في هذا الميثاق فلو كان حياً في زمن رسول الله ﷺ لكان أشرف أحواله أن يكون بين يديه يؤمن بما أنزل الله عليه وينصره حتى لا يصل أحد من الأعداء إليه لأنه إن كان ولياً فالصديق أفضل منه وإن كان نبياً فموسى أفضل منه.هـ وكيف يعقل وجود الخضر حيا ولا يصلي مع رسول الله الجمعة والجماعة ولا يشهد معه الجهاد فلو كان لأخبرنا بذلك. هـ قصص الأنبياء لابن كثير بتصرف)[1] .

(٢) روى الإمام أحمد في مسنده حدثنا شريح بن النعمان حدثنا هشيم أنبأنا مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني. هـ. وهذا هو الذي يقطع به ويعلم من الدين علم الضرورة. وقد دلت عليه الآية الكريمة- {وإذ أخذ الله ميثاق النبيين}..إلخ.

فإن الأنبياء كلهم لو فرض أنهم أحياء مكلفون في زمن بعثه رسول الله ﷺ لكانوا كلهم أتباعاً له وتحت أوامره وفي عموم شرعه بدليل أنه صلى بهم ليلة الإسراء في محل ولايتهم ودار إقامتهم. ورفع فوقهم كلهم فدل ذلك على أنه الإمام الأعظم والرسول الخاتم فإذا علم هذا وهو أمر

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير ص ٢٣٥ ج٢.

مُسلَّم به عند جميع الأنبياء وجميع المؤمنين والملائكة وجبريل علم أنه لو كان الخضر حياً لكان من جملة أمة محمد ﷺ ممن يقتدي بشرعه ولا يسعه إلا ذلك.

(٣) وهذا عيسى ابن مريم على القول بحياته إذا نزل في آخر الزمان يحكم بشريعة محمد ﷺ. وعيسى عليه السلام من أولي العزم وخاتم أنبياء بني إسرائيل. والمعلوم أن الخضر لم ينقل بسند صحيح ولا حسن تسكن النفس إليه أنه اجتمع برسول الله ﷺ في يوم واحد ولم يشهد معه قتالاً في مشهد من المشاهد. وقد ثبت أنه عليه الصلاة والسلام قال في غزوة بدر "اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تُعبَد بعدها في الأرض". وهذه العصابة يومئذ هم سادة المسلمين وسادة الملائكة حتى جبريل عليه السلام حيث ثبت أيضاً أن الملائكة كانت تقاتل في المعركة. فلو كان الخضر حياً لكان وقوفه تحت هذه الراية وقتاله مع المسلمين في هذه المعركة من أشرف مقاماته. فهل يقال بعد هذا أنه كان حيا وكان حاضراً في هذه المواطن ولكن لم يراه أحداً؟ ونقول الأصل عدم هذا الاحتمال لأنه يلزم منه تخصيص العموميات بمجرد التوهمات ثم ما الحامل له على الاختفاء؟ وظهوره أعظم لأجره وأعلى في مرتبته. ولو كان باقياً بعد رسول الله ﷺ لكان تبليغه سنة رسول الله ودفاعه عنها وقتاله مع المسلمين ضد أعدائهم أفضل ما يقال عنه من كنونه من الأمصار.هـ بتصرف قصص الأنبياء لابن كثير)[1] .

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير ج ٢ ص ٢٣٧. وما بعدها.

(رابعاً-) ثبت في الصحيحين وغيرهما عن عبد الله بن عمــــر أن رسول الله ﷺ صلى ليلة العشاء ثم قال أرأيتكم ليلتكم هذه؟ فإنه إلى مائة سنة لا يبقى ممن هو على وجه الأرض اليوم أحد.هـ.

وفي رواية – عين تطرف. قال ابن عمر فوهل الناس من مقالــــة رسول الله ﷺ هذه وإنما أراد انخرام قرنه وقال الإمام أحمد حدثنا عبــد الرازق أنبأنا معمر عن الزهري قال أخبرني سالم بن عبد الله وأبو بكــر بن سليمان بن أبي خيثمة أن عبد الله بن عمر قال صلى رســـول الله ﷺ ذات ليلة صلاة العشاء في آخر حياته فلما سلم قام فقال : أرأيتكم هــذه؟ فإنه على رأس مائة سنة لا يبقى ممن على ظهر الأرض أحد. وأخرجــه البخاري ومسلم من حديث الزهري.

وفي الألوسي وغيره وسئل البخاري عنه وعـــن إليـــاس عليـــهما السلام هل هما حيان؟ فقال كيف يكون هذا وقد قال النبـــي ﷺ أي قبـــل وفاته بقليل "لا يبقى على رأس المائة ممن هو اليوم.هــ". والـــذي فـــي صحيح مسلم عن جابر قال قال رسول الله ﷺ قبل موته "ما مـــن نفـــس منفوسة يأتي عليها مائة سنة وهي يومئذ حيه)[١] .

يقول ابن الجوزي فهذه الأحاديث الصحاح تقطع دابر دعوى حيـــاة الخضر. قالوا فالخضر إن لم يكن قد أدرك زمان رسول الله ﷺ كما هـــو المضمون الذي يترقى في القوة إلى القطع فلا إشكال وإن كان قـــد أدرك

---

(١) الألوسي ج ١٥ ص ٣٢٠.

زمانه فهذا الحديث يقتضي أنه لم يعش بعد مائة سنة فيكون الآن مفقوداً لا موجوداً لأنه داخل في هذا العموم والأصل عدم المخصص له حيث يثبت بدليل صحيح يجب قبوله.هـ)[١] .

والذي أراه:

أن الخضر مات وقبل انقضاء المائة سنة المنصوص عليها فيما رواه الشيخان لما ذكر من الأحاديث والأدلة على موته. وقد ضعف ابن كثير الأحاديث الواردة في حياته وقال لا يصح شيء من ذلك. وأشهرها أحاديث التعزية فقد جاء في الألوسي قوله وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية عنه فقال لو كان الخضر حيا لوجب عليه أن يأتي إلى النبي ﷺ ويجاهد معه وبين يديه ويتعلم منه وسئل إبراهيم الحربي عن بقائه فقال - من أحال على غائب لم ينتصف منه وما ألقى هذا بين الناس إلا الشيطان ونقل في البحر عن شريف الدين محمد بن الفضل المرسي القول بموته وحكى القاضي أبو يعلى موته.هـ)[٢] .

وإني لأتساءل ما هي الحكمة من خفاء الخضر طوال هذه المدة حيث عاصر موسى عليه السلام وبقي حتى عهد الرسول ﷺ على رأي القائلين بحياته بل وما زال حيا حتى الآن في رأيهم لماذا لم نره يقاتل مع المسلمين في معاركهم الدامية ضد أعدائهم في عصورهم المختلفة.

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير ج ٢ ص ٢٤٠ وما قبله.

(٢) الألوسي ج ١٥ ص ٣٢٠.

في فتوح فارس والروم. بل لماذا لم نره يكون مصلحاً ومنصفاً في المعارك التي كانت بين علي ومعاوية ليحقن دماء المسلمين ويضع الحق في نصابه ولماذا لم نر له دوراً في معارك المغول والتتار والصليبيين وغيرهم على مر التاريخ وفيما دس على الرسول من أحاديث وإسرائيليات أما حديث اجتماع الخضر وإلياس عليهما السلام في كل عام في الموسم. فمنكر كما يقول صاحب كتاب تمييز الطيب من الخبيث.هـ العلامة عبد الرحمن بن علي الشافعي الأثري رحمه الله.

لذا نقول لا مبرر إطلاقاً للقول بخفائه ولا ببقائه لعدم أي أثر للحكمة من ذلك. ولأنه إن لم يكن أدرك زمان رسول الله ﷺ كما هو الذي يكاد يصل إلى درجة القطع فلا أشكال. وإن كان قد أدرك زمانه كما هو رأي القائلين بحياته. وهذا ما أستبعده تماماً فالحديث الوارد المذكور آنفاً يقضي بأنه لم يعش بعد المائة سنة فيكون الآن غير موجود ولأن بقاءه إلى الآن يخالف السنة الإلهية وكونه ابن آدم لصلبه كما ذكر البعض وعاش وعاصر نوحاً وموسى ومحمداً عليهم الصلاة والسلام. وما زال باقياً إلى الآن – فهذا كلام لا يقره عقل ولا منطق. وهو تعسف لا مبرر له عقلاً وشرعاً. لقوله تعالى {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد} خلد.. الآية. وكون الخضر مستثنى من الحديث "ما من نفس منفوسة..إلخ والآية سالفة الذكر أمر يعوزه الدليل لأننا لو قلنا باستثنائه لجاز لأحد أن يقول باستثناء غيره (فقوله (ما من نفس) لفظ نكره وهي تفيد العموم والشمول لأنها في سياق النفي. وكون الحديث قابل

لتخصيص المسيح عليه السلام فهذا التخصيص جاء بنص القرآن مع الخلاف أيضاً في ذلك وهو قوله – {وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه}. الآية ١٥٧ النساء. ونقول أيضاً ما هي الحكمة في كونه معمر وغير مشاهد؟ هذه أمور أشبه بالألغاز أما كونه يلتقي ببعض الأشخاص وإلياس وأ،هما يحجان كل عام فليس هناك نص صريح يفيد ذلك. ونقول لو كان الخضر حيا حقيقة كما يقول أصحاب هذا الرأي لكان هذا أمراً غريباً وعجيباً وما أظن القرآن يتركه دون إخبارنا بذلك لأنه أي القرآن أخبرنا عن نوح عليه السلام. وأنه لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً وقد تواترت الأخبار أن نوحاً أطول الناس عمراً. ذلك لغرابة هذا وعدم تكرره. فلو كان الخضر ما زال حيا أو عاصر رسول الله لأخبر القرآن عنه لسنته في الإخبار عن الأمور النادرة. كغنى قارون وخسفه وإهلاك قرى قوم لوط. وحمل امرأة الخليل عليه السلام وهي عجوز وإنجاب زكريا بعد أن صار شيباً وغير ذلك. ولو كان الخضر حياً فلماذا لم يروه الصحابه؟ إنهم رأوا جبريل وطلبوه فلم يجدوه وقال لهم عليه الصلاة والسلام– هذا جبريل أتاكم ليعلمكم دينكم. فأين الخضر من جبريل؟ ومن ثم نقول لو كان الخضر حيا – لالتقى برسول الله ﷺ على رؤوس الأشهاد ليتشرف الخضر بذلك.

وكذلك كان التقى بعدد من أصحابه يفيده التواتر فإذا كان لم يثبت بدليل قطعي أنه التقى بأحد من أصحاب رسول الله ﷺ فكيف نقول أنه

التقى ببعض الصالحين؟ ولو قلنا بحياته بعد وفاة رسول الله ﷺ فعلى أي شريعة كان يتعبد؟ هل بشريعة موسى؟ أم بشريعة خاصة باعتباره نبياً أم بشريعة المصطفى؟ ولا شك أن شرعية رسولنا ﷺ هي خاتمة الشرائع وبها يكون التعبد. ولم يثبت بنص صحيح كما قلنا أنه التقى برسول الله ﷺ أو بأحد من أصحابه ليعرف شريعة الله ، إذا فهو قد مات. أما كون أبيه كان ملكاً وأنه ولد في مغارة. وأن شاة كانت ترضعه. وأنه فر من أبيه. وأن أباه طلبه كاتباً فتعرف عليه صدفة. إلخ. ما ذكره القرطبي وغيره فنقول هذا كلام فيه تناقض واضح وفيه تكلف وتعسف فليراجعه من أراد. وخلاصة القول أن الخضر عاش فترة من الزمن قد تطول وقد تكون حياة عادية كانت حياته فيها لحكمة من أبرزها لقاؤه بموسى عليه السلام ليعلم أن الله لا يقصر علمه على شخص واحد وأن علم الله لا ينفد. وكون الخضر شرب من عين الحياة فخلد فهذا قول لا مبرر له. وأين هي عين الحياة؟ لم تر على الطبيعة بعد إلا إذا قلنا أنها اندرست بمرور الزمن. ولو كان للخضر حياة وحكة من هذه الحياة فلماذا لم يبق مع موسى؟ أو حتى مع يوشع أو في بني إسرائيل. نعم يمكن أن يقال برؤيته مناماً فهذا لا غرابة فيه فقد يرى رسول الله مناماً وقد يرى إنساناً في اليقظة ويقول أنا فلان ويكون على صورته ويكون في قمة الصلاح وتكون هذه الرؤية ليحكمه فقد تكون رؤية الخضر من هذا القبيل هذا وقد جاء في كتاب مفيد العلوم ومبيد الهموم للعلامة أبو بكر الخوارزمي. أعمار الأنبياء ولم يرد ذكر للخضر جاء في الكتاب قوله : عاش آدم

ألف سنة ونيفاً سنة. وبين آدم والطوفان ألفا سنة. وبين نوح وإبراهيم الخليل ألفا سنة. وبين إبراهيم وموسى سبعمائة سنة وبين داود وموسى خمسمائة سنة. وبين داود وعيسى ألف ومائتا سنة . وبين عيسى ومحمد ستمائة وعشرون سنة. ومن زمن آدم إلى الهجرة سبعة آلاف سنة. وبين موسى وعيسى ألف وسبعمائة سنة. هـ ص ١٦٩ من نفس الكتاب المذكور ، هذا الذي ذكره الخوارزمي وإن كان غير دقيق فيه إلا أنه لم يرد فيه ذكر للخضر لا من قريب ولا من بعيد لذا قلنا أن الخضر عاصر موسى وعاش حياة قد تكون طويلة وقد تكون عادية لحكمة وأبرزها نقاؤه موسى حسبما تحدث التنزيل ليعلم الكليم عليه السلام أن علم الله لا يحيط به فرد أو أفراد.

﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾. فالخضر مات قبل بعثة رسول الله ﷺ على أرجح الأقوال لأنه لو عاش حتى بعثة رسولنا ﷺ لكان له الشرف في لقائه عليهما السلام.هـ.